

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل:

ط1: 171735087750

ط2: 171735087840

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

الاستئزام الخطابية والحجاج

في قصص الغزوات في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية مسار اللسانيات العامة

إعداد الطالبتان:

1- سامية قروش

2- مروة بوزيان

أمام اللجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	عبد القادر العربي	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيسا
02	محمد عرباوي	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
03	هشام ميداقين	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	ممتحنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ مِنْ تَلْهَاتٍ
فَتَجِدَبُ الْغَدَّاءِ
ثُمَّ يَرْجِعُهُ خِطًّا
ثُمَّ يَسْفِطُهُ مِزْجًا
ثُمَّ يَكُونُ عِنْدَ رَبِّهِ
عِزًّا
ثُمَّ يُعْطِيهِ الْوَسْطَانَ
وَالْحَقْنَ
ثُمَّ يُعْطِيهِ الْوَسْطَانَ
وَالْحَقْنَ
ثُمَّ يُعْطِيهِ الْوَسْطَانَ
وَالْحَقْنَ

إهداء :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما

بعد :

الحمد لله الذي وفقنا لتأمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضلته تعالى .. وهي مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نور دربي .. وإلى زوجي قرة عيني الذي لا طالما ساندني ودعمني للاجتهد والمثابرة.

ولكل العائلة الكريمة ورفيقات مشواري الدراسي اللاتي قاسمني لحظاته رعاهن الله ووفقهن .. وإلى كل من دعمني طوال مسيرتي الدراسية ومن كان لهم أثر إيجابي على حياتي .. وإلى كل من أحبهم قلبي .

الطالبة : سامية قروش.



إهداء :

بقلب صادق يملؤه الحب والامتنان أهدي هذا العمل المتواضع إلى الذي قدم حياته فداءً من أجل
أن أعتلي سلام النجاح والتفوق وأصل إلى ما وصلت إليه اليوم . . إلى الذي سار معي منيرا كل
دروبي دافعا إياي إلى العُلَا داعما لي بكل ما بوسعه لأصل إلى ما أصبوا إليه . . إلى من انتظر
يوم تخرجني هذا بفارغ الصبر ورافقني لبلوغه خطوة خطوة . . إلى مثلي الأعلى ومصدر عزي
وفخري وفرحتي وسندي ، إلى أبي الغالي أطال الله في عمره . .

إلى من سهرت وتعبت وبذلت الغالي والنفيس من أجلي . . إلى من زرعت في روح
المثابرة والاجتهاد . . إلى بلسم الشفاء ورمز المحبة ونبع الحنان والحب والأمل والتضحية والدعم الذي لا حد له . .
إلى التي غمرتني بفيض حنانها وسقتني نبع رقتها وصدقها . . إلى التي ربنتي صغيرة ونصحتني
كيرة . . قرّة عيني وفؤادي وجنة الله على الأرض . . إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها .

كما أهدي هذا العمل المتواضع إلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة . . إلى كل العائلة والأحبة والأصدقاء
الذين لا يسع المقام لذكرهم جميعا . . إلى كل من كان عوناً لي في مسيرتي الدراسية
ومشواري العلمي من قريب أو بعيد . .

الطالبة : مروة بوزيان



مقدمة:

مقدمة:

تثير الأبحاث التداولية اهتمام كثير من الباحثين في مختلف المجالات بما تطرحه من إمكانات لحل مشكلاتهم العالقة، وقد اتخذت لنفسها موقعا في الأبحاث اللسانية، ولعل المزية التي تحملها هي إيلاء أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، لهذا ركزت التداولية على دراسة الأساليب الكلامية ومراقبة الآثار الدلالية المرتبطة بالموقف الدلالي.

فالتداولية تهتم بالمعنى المراد داخل السياق بين المتكلم بعيته والمتلقي بعيته فهي تعرض للمعنى الاستعمالي؛ وهذا يتضمن دراسة المنطوق اللغوي وبعد ذلك دراسة المتكلم وما يتصل به، وما هدفه وما قصده ثم المتلقي وعلاقته بالمتكلم ومعرفة العناصر الأخرى التي تؤثر في فهم المعنى، ولأن هذا الفهم قد يعبر عنه بمفاهيم شتى تتضمنها مصطلحات عدة؛ رأينا أن نختار من بين أهم القضايا التداولية قضيتا الاستلزام التخاطبي والحجاج، ولأن قصص الغزوات في القرآن الكريم تتضمن بعض المؤشرات التي تشي بوجود هاتين القضيتين؛ فقد وقع اختيار موضوع بحثنا على العنوان الآتي: "الاستلزام التخاطبي والحجاج في قصص الغزوات في القرآن الكريم".

إن البحث في القرآن والتدبر في معانيه، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده، وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه. فالقرآن الكريم أكمل كتاب على وجه الأرض؛ لأنه خطاب يحتوي على أشمل الأحكام العقائدية وأوسع المعاني وأدقها المتعلقة بحياة الناس؛ وهو آخر الرسالات السماوية وأعمها؛ لأنه رسالة الله إلى الوجود كله وإلى العالمين كافة في كل زمان ومكان، فلا غرو أن يكون أول

كتاب علم الناس كيف يفكرون ويستنبطون الأحكام العقلية المنطقية المبنية على منطلقات صحيحة، فقد دعاهم في آيات كثيرة إلى استخدام عقولهم للتوصل إلى حقائق الظواهر المحيطة بهم، واعتبر استخدام العقل والفكر السليم مبدءًا أساسيا في الإيمان الصحيح والعلم والتفقه والفتنة والتدبر، لهذا تميزت آيات القرآن البيئات بخصائص متعددة منبعها سمة الإعجاز فيه وسحر بيانه، ومن هذه الخصائص نذكر الاستلزام التخاطبي وأسلوب الحجاج.

يعد الاستلزام التخاطبي أحد أهم الآليات التداولية التي فتحت بابا واسعا في تطوير التداوليات اللسانية، كونه يهتم بإظهار المعاني الخفية للخطاب، وعلاقتها بالمحيط والظروف السياقية والمخاطب وتأويلاته، وسعيا لفهم الخطاب ووصولاً إلى إدراك المقاصد الحقيقية، إذ إن من النصوص ما لا تتحدد دلالتها بالظاهر، حيث يكون الظاهر ممرا للوصول إلى المعنى المستلزم، وعملية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى السياقي هي التي يطلق عليها (بول غرايس) بظاهرة الاستلزام التخاطبي عندما اقترح مفهوم مبدأ التعاون، وأخذه بعين الاعتبار لكل أبعاد عملية التخاطب، ومن خلال الإشارة إلى المبادئ التداولية المكملة لمبدأ التعاون التي يتصرف بها المتحاورون من أجل نجاح العملية التخاطبية وإدراك المقاصد.

وقد تضمن القرآن الكريم إضافة إلى دلالات صريحة ومباشرة، دلالات مستلزمة غير مباشرة تُستنبط من خلال السياق التداولي لها، وهو ما ستحاول الدراسة كشفه في الآيات المتعلقة بغزوات الرسول ﷺ والمسلمين، إضافة إلى تطبيق آيات الحجاج عليها كذلك، ذلك أن الخطاب القرآني دافع قوي إلى التفكير الرصين والتأمل بالعقل الذي ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات فيسلك أفضل السبل التي تهديه إلى

الإيمان والصلاح والتقوى. وهنا كان السر في الخطاب الحجاجي القرآني؛ إنه تنوير للعقول وهدم كل ما يحجب الحقيقة عنها من أوهام باطلة وخرافات واهية.

من أجل ذلك؛ جاءت فكرة الغوص في بحثنا هذا الذي تطرقنا فيه إضافة إلى الاستلزام التخاطبي، إلى آلية من آليات البيان في القرآن الكريم تتعلق بالحجاج، فالقرآن خطاب حجاجي موجه في أساسه للتأثير على آراء المخاطب وسلوكاته، واستمالة النفوس وتوجيه العقول لذلك وظف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمن هذه الغايات والتي حاولنا الكشف عليها باتخاذنا للآليات المتعلقة بالغزوات أنموذجاً.

ومن هذا المنطلق؛ كان اختيارنا لموضوع يتعلق بالدراسات القرآنية في جانبها التداولي، كما أننا أردنا لهذا البحث البسيط أن يكون إضافة وتثميناً لما سبقه من الدراسات والبحوث الداعية إلى دراسة النظم القرآني عامة والقصة القرآنية على وجه الخصوص، لما حوته من إعجاز في البناء وجمال العمارة وسمو الغاية الربانية، ومن المؤكد أن جمالها الفني لا ينفي عنها دقتها كما لا يجردها من غايتها الخالصة والتي لا تنفصل عن غاية القرآن عامة في التركيز على صلاح الحياة بكل جوانبها، ولما كان القرآن معجزاً في كل شيء كان أيضاً قمة الإعجاز القصصي من حيث الإقناع العقلي والإيحاء النفسي والجمال الفني.

ومن هنا أخذنا الفضول البحثي لكي نسلك مسلك النظريات الحديثة في الكشف عن خبايا القصص القرآني، فاخترنا الاستلزام التخاطبي والحجاج باعتبارهما آليتان من آليات التحليل التداولي الحديث.

حاولنا من خلال هذا البحث أن نجيب على الإشكالية التالية:

- ماهي مظاهر الاستلزام التخاطبي والحجاج في قصص الغزوات في القرآن الكريم؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية زمرة من الأسئلة الجزئية أهمها:

1- ما هو الاستلزام التخاطبي وما مبادئه؟

2- كيف كان الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات؟

3- ماهو الحجاج وماهي آلياته؟

4- ماهي أهم الآليات الحجاجية الموظفة في آيات قصص الغزوات؟

وتتنوع أسباب اختيارنا هذا الموضوع إلى ذاتية وموضوعية نسردها كالآتي:

1- رغبتنا الملحة في اقتناص فرصة طالما انتظرناها لدراسة لغوية تداولية موجهة للنص القرآني المتفرد ببيانه وسحره وأساليبه.

2- قلة الدراسات التطبيقية المتعلقة بقصص غزوات الرسول ﷺ والمسلمين الواردة في القرآن الكريم، خاصة ما تعلق بالجانب التداولي. كما أن اختيارنا للآيات المتعلقة بالغزوات تحديدا كمدونة للتطبيق؛ يرجع إلى تفردها بالحوار وبسرد الوقائع المتناقضة في الحياة العسكرية لدى المسلمين أثناء جهادهم، ومواقف صبر سيدنا محمد ﷺ والمسلمين على صنوف البلايا والمحن وألوان الشدائد.

آثرنا أن تكون دراستنا تطبيقية أكثر منها نظرية، موزعة على فصلين، تسبقهما مقدمة، وتقوهما خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

جاء الفصل الأول تحت مسمى الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات، وشمل ست غزوات وهي: (بدر، أُحُد، الأحزاب، خيبر، حنين، تبوك) والموجودة في السور

القرآنية الآتية: (آل عمران، الأنفال، الأحزاب، التوبة، الفتح)، وفي كل غزوة ناقشنا مسألة التخاطب المستلزم وفق مقاطع تخاطبية.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان الحجاج في قصص الغزوات، وعالج غزوتين فقط هما: (بدر وأُحد) الموجودتان في سورتي: (آل عمران والأنفال)، وهذا وفق مقاطع حجاجية؛ نظرا لعدم تضمن الغزوات الأخرى على نصوص كافية لتطبيق آليات الحجاج عليها.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي لأنه الأنسب للدراسات اللغوية، والاستعانة بجملة من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع أهمها: القرآن الكريم برواية ورش، والتفاسير المتنوعة وعلى رأسها صفة التفاسير للصابوني، وعدة دراسات تداولية أهمها التداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي.

كما سبق عملنا هذا بعض الدراسات القريبة من موضوعها أهمها:

- رسالة ماجستير موسومة: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، للطالبة: حياة دحمان، إشراف: عزالدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر بباتنة، السنة الجامعية: 2012-2013م.

- رسالة ماجستير موسومة: دلالة الاستلزام الحواري في القرآن الكريم سورة الكهف أنموذجا، للطالبة: زليخة بابا حيدة، بوتدارة حسناء، إشراف: بلالي مبارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2016-2017م. غير أن ما يميز دراستنا هو معالجة قصص الغزوات عن طريق الخوض في قضيتين هامتين

من قضايا التداولية وهما الاستلزام التخاطبي والحجاج، فحسب علمنا لم يتم وضع هذه المدونة تحت مجهر هاتين القضيتين.

وحتما قد واجهنا صعوبات ككل الباحثين؛ إذ وجدنا أنفسنا أمام هذا الدستور الإلهي العظيم المطلق ببيانه وإعجازه وبنائه، فكيف بفهمنا القاصر وإدراكنا النسبي أن يحيط بأفق القرآن الواسع؟ بالرغم من توسلنا بتفاسير القرآن من أجل الوصول إلى أحسن فهم وأوفقه لروح النص والسياق والواقع والعقل، ولقد قطفنا من عيون الأفاويل ونكت البلاغة، وطيبنا بها كلماتنا العاجزة وصرعنا بها سطورنا المهزولة، وكذلك صعوبة تطويع المنهج لاكتشاف الطاقات التداولية لقصة قرآنية غاية في الاكتناز والثراء، كذلك ندرة المراجع التطبيقية في هذه المدونة.

ومع كل هذا فقد وجدنا لذة في البحث، ومنتعة في تتبع الفكرة في بطون الكتب وهي تتطور بتلاقح الأفكار، وكم كانت المتعة تزداد مع العثور على مادة مفيدة أو استنتاج فكرة أو استخراج معنى أو دعم حجة، وما أروع تلك السويغات التي كنا نقضيها في ربوع القصص القرآني الممتع الذي تجسد فيه الجمال بكل آياته والصدق بكل واقعيته، ونحن نحاول أن ننهل منه ونكشف فيه ملامح الاستلزام التخاطبي والحجاج وتحليلاتهما.

وفي الأخير نرجو من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا فيما سعينا إليه، من خلال بحثنا المتواضع هذا، وأن تكون دراستنا حافزا لدراسات أخرى تبحث فيما فاتنا من جوانب أخرى مهمة، وحسبنا أننا حاولنا وخضعنا لهذه التجربة بجد وصبر وصدق فما كان فيها من محاسن فالفضل لله سبحانه وتعالى الموفق أولاً، ثم إلى أستاذنا الدكتور محمد عرباوي، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة وتعهدها برعايته

الطيبة وتوجيهاته السديدة، فنحن نعتزف أن ما توصلنا إليه في هذا البحث كان نتيجة لحوارات عميقة وتوجيهات صارمة منه، وطرحه للأفكار المناسبة، فإليه نتقدم بشكر خاص وخالص نظيرا لجهوده ووقته ونصائحه وتصحيحاته لإنجاح هذا العمل المتواضع، فقد كان لملاحظاته الدقيقة وتشجيعه المستمر وروحه الطيبة والمرحة دور كبير في إخراج هذا العمل من الظلمات إلى النور.

الفصل الأول :

الاستلزام التخاطبي

في قصص الغزوات

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

توطئة:

يعد الاستلزام التخاطبي آلية تداولية تعني خروج الحوار عن أصله إلى أغراض أخرى يفهمها المتلقي من خلال السياق أو القرائن اللغوية أو غير ذلك...، حيث "لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيين التداوليين، وخصوصا الفيلسوف (غرايس) أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضيوي"⁽¹⁾، ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب):

- الأستاذ(أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

- الأستاذ(ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

وهنا لاحظ الفيلسوف (غرايس) أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في ذات الوقت، احدهما حرفي والآخر مستلزم، معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة.

وهذه الظاهرة اللغوية سماها (غرايس) بالاستلزام الحوارية ولوصف هذه الظاهرة يقترح (غرايس) نظريته المحادثية التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون⁽²⁾. يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم، والقواعد المشتقة منه موزعة على أربعة أصناف:

أ. قاعدة الكم: وتتفرع هذه القاعدة بدورها إلى مقولتين هما:

- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط11، 2005، ص33 .
(2) المرجع نفسه، ص33 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.
 - ب. قاعدة الكيف: وتتفرع إلى :
 - لا تقل ما لا تعلم كذبه.
 - لا تقل ما ليست لك عليه بينة.
 - ج. قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال: وخلصتها ليناسب مقالك مقامك أي أن يجعل المتكلم كلامه ذا علاقة بالموضوع .
 - د. قاعدة جهة الخبر: ترتبط بما يراد قوله وتتفرع بدورها إلى:
 - لتحترز من الخفاء في التعبير.
 - لتحترز من الاشتباه في اللفظ.
 - لتتكلم بإيجاز ولترتب كلامك (3).
- وعلى الرغم من الأثر الايجابي الذي أحدثه هذا المبدأ في تطوير التداوليات اللغوية وتنويع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني إلا انه كان محل جدل وانتقاء من طرف العديد من الدارسين كونه عني بالجانب التبليغي في الخطاب وأغفل جوانب أخرى مهمة كالجانب التهذيبي، لذا ظهرت فيما بعد مبادئ أخرى لدارسين آخرين سدت ذلك الخلل والنقص الذي عرفه مبدأ التعاون ومن بين هذه المبادئ:

1. مبدأ التأدب (التهذيب) لروبين لايكوف: وفحواه لتكن مؤدبا ويقضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من اجلها دخلا في الكلام. إذ يستحسن لطرفي الحوار مراعاتهما لهذا المبدأ مثل مراعاتهما لقواعد مبدأ

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

التعاون مما يفى بتكامل هذين المبدئين، من اجل تحقيق أهداف الخطاب والتعبير عن المقاصد. ويتفرع عن هذا المبدأ ثلاثة قواعد هي: قاعدة التعفف، قاعدة التخيير، وقاعدة التودد⁽⁴⁾.

2. مبدأ الوجه: "منذ القدم والناس يعتبرون الوجه رمزا يمثل المرسل وامتد هذا التصور المجازي حتى العصر الحديث، فاستعمله (براون) و(ليفنسون) أساسا في عملهما التداولي (الكليات في الاستعمالات اللغوية: ظاهرة التأدب)، الذي أرادا من خلاله أن يصوغا بعض القواعد الكلية لضبط ظاهرة التأدب بين طرفي الخطاب وقد كانت من أهم النظريات التداولية أثرا حتى اليوم. وارتكز هذا المبدأ على عاملين هما: قيمة الوجه الاجتماعية، ونسبة تهديد الوجه⁽⁵⁾.

3. مبدأ التصديق لطفه عبد الرحمان: "والذي قام بمراجعة لهذه المبادئ والقواعد التخاطبية وكشف عن بعض الثغرات والنقائص التي تشكو منها، واقترح مبدأ يسد هذا النقص وسماه مبدأ التصديق وهو مبدأ كان قد استمده من التراث العربي الإسلامي و فحواه: لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه ففلك"⁽⁶⁾. وخالصة هذا المبدأ انه يقوم على عنصرين اثنين يتمثل الأول منهما في نقل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي في الخطاب ويتمثل الثاني في تطبيق القول الذي يتعلق بالجانب التهذيبي فيه.

(4) عيسى تومي، الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقارنة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب العربي، م 8، ع 1، 2019م، ص 45.

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص 103.

(6) عيسى تومي، الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقارنة تداولية في آيات من سورة البقرة، ص 46.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

ولهذا المبدأ قواعد مضبوطة نجدها مجتمعة ومفصلة عند أبي الحسان المارودي في كتابه: "أدب الدنيا والدين" وهي:

- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في إجتتاب نفع أو دفع ضرر.
- أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- أن يقتصر منه على قدر حاجته .
- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به⁽⁷⁾ .

4. مبدأ التأدب الأقصى عند جوفري لبيتش: "وقد ورد هذا المبدأ كتأدب مبادئ التداوليات، والذي يعده مكملًا لمبدأ التعاون وقد صاعه في صورتين: صورة سلبية: قلة من الكلام غير المؤدب. وصورة ايجابية: أكثر من الكلام المؤدب " (8) .

وبعد فإن المتأمل في تراثنا اللغوي يجد أن علماءنا العرب القدماء وبخاصة علماء البلاغة وعلماء الأول وكذا المفسرين قد عنوا بدراسة ظاهرة الإستلزام الحواري، التي ظهرت في ثنايا دراساتهم بمصطلحات من قبيل: الأغراض التي تؤديها الأساليب، ودلاله المفهوم، المعنى المقامي، والمعنى الفرعي... وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التي تدل على مدى وعيهم بهذه الظاهرة اللغوية وستعرض الدراسة فيما يأتي إلى تحليل نماذج من الآيات القرآنية التي خرجت فيها الأساليب الخبرية وكذا الأساليب الإنشائية الطلبية إلى معان مستلزمة في خطاب الآيات - المتعلقة بغزوات الرسول ﷺ والمسلمين وهي: (بدر، أهد، الأحزاب، خير، حنين، تبوك) والموجودة في السور القرآنية الآتية: (آل عمران، الأنفال، الأحزاب، التوبة، الفتح) - والأغراض التي تؤديها مع الأخذ بعين الاعتبار المقامات التخاطبية والسياقات التي وردت فيها، بالاعتماد على آراء بعض العلماء والمفسرين.

(7) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 46-47.

(8) المرجع نفسه، ص 46.

أولاً: غزوة بدر

وردت غزوة بدر في القرآن الكريم في سورتَي آل عمران والأنفال، وسنقسم الآيات المتضمنة لهذه الغزوة إلى مقاطع تخاطبية على النحو الآتي:

1- المقطع التخاطبي الأول:

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[آل عمران، 123].

نزلت هذه الآية الكريمة في أعقاب غزوة بدر "ومن المعلوم من تاريخ الغزوات التي خاضها المسلمون أن غزوة بدر كانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة وكانت هي الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل، ورد البغي والطغيان، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين قعد بهم الضعف في مكتبة، واخذوا في الضراعة إلى الله أن يخرجهم من القرية الظالم أهلها، وقد استجاب الله ضراعتهم فهبها لهم ظروف تلك الغزوة، التي تم فيها النصر للمؤمنين على قلة عددهم وضعف في عددهم، وعلى عدم تهيئهم للقتال"⁽¹⁾.

حيث كان عددهم يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فرسان وسبعون بعيراً والباقي مشاة، ليست معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ مابين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد البيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد، فاعز الله رسوله ﷺ وأظهر وحيه وتنزله وبيض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله . ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ مع قلة عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، م1، ج9، 1981م، ص491.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

الله لا بكثرة العدد والعدد⁽²⁾، ثم قال عز وجل ﴿فَانْتَقُوا اللَّهَ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وفي قوله هذا تبارك وتعالى أمرٌ خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النصح والإرشاد، حيث "أمر بالتقوى مطلقاً وقيل في الثبات مع رسول الله ﷺ وتوجيه الشكر إما على الإنعام السابق بالنصر يوم بدر أو على الإنعام المرجو أن يقع، فكأنه قيل: لعلمك ينعم الله عليكم نعمة أخرى فتشكرونها. وضع الشكر موضع الأنعام لأنه سبب له".⁽³⁾

2- المقطع التخاطبي الثاني:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران 124].

وقد خرج الاستفهام في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى معنى فرعي مستلزم هو النفي وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ حيث أن الاستفهام هنا تقريرى، والتقريرى يكثر أن يورد على النفي الذي جيء هنا بحرف لن وهذا الأخير يفيد تأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا يوم بدر لقلتهم وضعفهم كالأسيين من كفاية المدد من الملائكة، فأوقع الاستفهام التقريرى على ذلك ليكون تلقينا لمن يخالج نفسه اليأس من كفاية ذلك العدد من الملائكة وبأن يصرح بما في نفسه والمقصود من ذلك لازمه، وهذا إثبات أن ذلك العدد كاف⁽⁴⁾.

ومعنى ذلك أننا هنا بصدد قوتين إنجازيتين:

- قوة إنجازية صريحة ناتجة عن الصيغة الحرفية للتركيب هي الاستفهام .

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2000م، ص396 .

(3) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معرض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ج 3، 1993م، ص51.

(4) محمد طاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م، ص 73.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

- وقوة إنجازية مستلزمة هي (النفى) المتولد من معنى الاستفهام .

3- المقطع التخاطبي الثالث:

﴿بَلَىٰ ۗ إِنَّ تَضْبُرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوَكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران، 125].

نجد أن الفائدة الخبرية في هذه الآية الكريمة قد خرجت عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام والوعد، ذلك أن قوله عز وجل ﴿وَيَأْتُوَكُمْ﴾ موقع وعد، فهو في المعنى معطوف على يمددكم ربكم وكان حقه أن يرد بعده ، ولكنه قدم على المعطوف عليه تعجيلا للطامانية إلى نفوس المؤمنين، والضميران المرفوع والمجرور في قوله ﴿وَيَأْتُوَكُمْ مِنْ فُورِهِمْ﴾ عائدان إلى الملائكة اللين جرى الكلام عليهم كما هو الظاهر وعلى هذا حمله جمع المفسرين (5).

وصف الله عز وجل الملائكة بقوله: مسومين "أي معلمين بعلامة الشجعان وشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط : الصبر والتقوى وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإنزال الملائكة المذكورين وإمدادهم بهم" (6).

وعليه فإن القوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول) بينما القوة الإنجازية المستلزمة فهي (إنشاء الالتزام).

4- المقطع التخاطبي الرابع:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران، 127].

(5) المرجع السابق ، ص74.

(6) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام، المملكة العربية السعودية، ط 2، 2002م، ص154.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الاستثناء والبشرى، حيث قال محمد طاهر بن عاشور مفسرا هذه الآية الكريمة: يجوز أن يكون الواو للعطف عطف الإخبار على التذكير والامتنان وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار للتويه بهذه العناية من الله بهم، والخطاب للنبي ﷺ والمسلمين وضمير النصب في قوله ﴿جَعَلَهُ﴾ عائد إلى الإمداد المستفاد من يمددكم أو إلى الوعد المستفاد من (إن تصبروا و تتقوا) والاستثناء مفرع و ﴿بُشْرَى﴾ مفعول ثان لجعله و أي ما جعل الإمداد و الوعد إلا انه بشرى، أي جعله بشرى ولم يجعله غير ذلك، ولكم متعلق ببشرى وفائدة التصريح به مع ظهور أن البشرى إليهم هي دلالة على تكرمه الله تعالى إليهم بان بشرهم بشرى لأجلهم... وعطف ﴿لِتَطْمَئِنَّ﴾ على ﴿بُشْرَى﴾ فكان داخلا في حيز الإستثناء فيكون استثناء من علل، أي ما جعله الله لأجل شيء إلا لأجل لان تطمئن قلوبكم به (7).

وهو ما يؤكد خروج الأسلوب الخبري في هذه الآية عن معناه الأصلي الوصف والإخبار إلى معنى مستلزم مقاميا هو الاستثناء والبشرى .

5- المقطع التخاطبي الخامس:

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران ،

. [127]

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر وهو التزام من الله عز وجل بذلك " التدبير الإلهي ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، ويهدم ركنا من أركان الشرك أو ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ أي يغيظهم ويخزيهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ أي يرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم، وقد فعل الله تعالى ذلك بهم في بدر

(7) ينظر: محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص-ص 77 - 78 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

حيث قتل المسلمون من صناديدهم سبعين وأسرو سبعين واعز الله المؤمنين وأذل الشرك والمشركين⁽⁸⁾ .

وعليه فالقوة الإنجازية الصريحة تتمثل في فعل الأخبار (مقول القول) أما القوة الإنجازية المستلزمة فتتمثل في (إنشاء الالتزام) .

6- المقطع التخاطبي السادس:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۗ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۗ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال، 1].

يقدم محمد علي الصابوني تفسيراً لهذه الآية فيقول: "﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها من بدر لمن هي؟ وكيف تقسم؟ ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وهنا أمر خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الإرشاد والتقرير، أي قل لهم: الحكم فيها لله و الرسول لا لكم، فاتقوا الله بطاعته و اجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم بالائتلاف وعدم الاختلاف وأطيعوا مر الله وأمر رسوله في الحكم في الغنائم. يقول عبادة بن الصامت: نزلت هذه الآية فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على السواء فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين⁽⁹⁾ .

وعليه فإن أفعال الأمر في هذه الآية قد خرجت عن معناها الأصلي إلى غرض آخر أفاد النصح و الإرشاد .

7- المقطع التخاطبي السابع:

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال ، 07].

(8) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص228 .

(9) المرجع نفسه، ص288.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام والوعد، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ وقد قال أهل التفسير: اقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنى من بدر، نزل جبريل فاخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمر بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثا، فخرجت قريش للمنع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين - وهذا التزام و وعد من الله عز وجل - والطائفتان: أبو سفيان ومن معه من المال و أبو جهل وما معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش، فلما سبق أبو سفيان بما معه كتب إلى قريش: إذ كنتم خرجتم لتحرزوا ركائبكم، فقد أحرزتها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله ﷺ يريد القوم فكره أصحابه ذلك و ودوا لو نالوا الطائفة التي فيها غنيمة دون قتال" (10). ثم يقول الله عز وجل: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ وخرج هنا الخبر كذلك إلى معنى الالتزام؛ وهو التزام من الله عز وجل بإظهار الحق، يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بأمره إياكم، أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال، وقوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يريد إن يجب أصل الجاحدين توحيد الله .

8- المقطع التخاطبي الثامن:

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال، 08].

(10) فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2002م، ص542 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

أي ويريد أن يقطع دابر الكافرين، كيما يحق الحق، كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعز الإسلام، وذلك هو تحقيق الحق ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ولو كره الذين أجزموا فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار (11).

فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ الآيتين السابقتين تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول)، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي (إنشاء الالتزام)، فيتحول الكلام الخبري حينئذٍ وبقرينة المقام والسياق من مجرد وصف للعالم وتقرير الحقائق إلى إنشاء يهدف إلى تغيير العالم والتأثير فيه.

9- المقطع التخاطبي التاسع:

﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾

[الأنفال، 09].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى معنى أفاد الالتزام والوعد في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ ذلك أن الله عز وجل التزم بإمداد المؤمنين بالملائكة، حيث روي أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فأستقبل القبلة ومد يديه يدعو: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت هذه الآية ﴿فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي استجاب لهم الدعاء بأنه معينهم بألف من الملائكة متتابعين، قال المفسرون ورد أن جبريل نزل بخمسائة وقاتل بها في يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسائة وقاتل بها في يسار

(11) ينظر: جعفر مجمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط1، م 4، 1994م، ص-ص 13 - 14.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

الجيش، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل⁽¹²⁾.

وخرج الخبر إلى معنى الالتزام في قوله تعالى:

﴿إِذْ يُعَشِّكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال، 11].

وهو التزام منه عز وجل بإلقائه النوم أمنا على المؤمنين، وهذه معجزة لرسول الله ﷺ حيث غشى الجميع النوم في وقت الخوف، قال علي رضي الله عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح. قال ابن كثير: وكان ذلك كان للمؤمنين من شدة البأس، لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله⁽¹³⁾.

وأُنزل عليهم عز وجل كذلك المطر يوم بدر ليظهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذٍ مجنبيين على غير ماء، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبيين على غير ماء فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر، فذلك ربطه على قلوبهم، وتقويته أسبابهم، وتثبيتته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء أي لينة وسهلة، فلبدها المطر حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها توطئة من الله عز وجل لنبيه ﷺ وأوليائه، أسباب التمكّن من عدوهم والظفر بهم⁽¹⁴⁾.

إذن فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ الآيتين السابقتين تتمثل في فعل الأخبار (مقول القول) أما القوة الإنجازية المستلزمة في كل منهما فقد تمثلت في

(12) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص-ص 495-496 .

(13) المرجع نفسه، ص 496.

(14) ينظر: جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، م 4، ص-ص 15-16.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

(إنشاء الالتزام) الذي من شأنه إن يحول الكلام الخبري وبقرينة المقام والسياق من مجرد وصف للعالم وتقرير الحقائق إلى إنشاء يهدف إلى تغيير العالم والتأثير فيه.

10- المقطع التخاطبي العاشر:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال، 12].

خرج أسلوب الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الإرشاد، وذلك في قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه - تعالى و تقدس وتبارك و تمجد- أوحى للملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا. قال ابن إسحاق: وأزروهم، وقال غيره: قاتلوا معهم، وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم - أي المشركين - يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمين بعضهم بعضا بذلك، فتقوى أنفسهم حكاة ابن جرير، ثم يقول عز وجل: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وهنا فائدة خبرية خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى الالتزام، ومعنى الآية: ثبتوا أنتم المسلمين وقوا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي. قم قال عز وجل: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ هنا أمر قائلاً: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، أقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم⁽¹⁵⁾.

(15) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 825 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وقد أفادت أفعال الأمر الواردة في هاته الآية معنى الإرشاد، حيث تضمن ملفوظ الآية قوة إنجازية هي الأمر الموجه للملائكة زيادة على القوة الإنجازية المباشرة والصريحة المتمثلة في فعل الإخبار.

11- المقطع التخاطبي الحادي عشر:

﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ [الأنفال، 14].

خرج الأمر في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو التوبيخ والوعيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ خطاب للمشركين، والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا. "أي يقول تعالى ذكره: هذا الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله، في الدنيا من الضرب فوق الأعناق منكم، وضرب كل بنان بأيدي أوليائي المؤمنين، فذوقوه عاجلا، وأعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار" (16).

12- المقطع التخاطبي الثاني عشر:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾

[الأنفال، 15]

خرج أسلوب النداء في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض التنبيه والإرشاد، واتبع هذا النداء بنهي حيث يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم الذين كفروا في القتال متزاحفا بعضهم إلى بعض، والتزاحف التداني والتقارب، فلا تولوهم ظهوركم فتهزموا عنهم، ولكم اثبتوا لهم، فإن الله معكم وعليهم (17).

(16) جعفر بن محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، م 4، ص 18.

(17) المرجع نفسه، ص-ص 18-19.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

إذن و بالإضافة إلى أسلوب النداء فقد تضمنت الآية للكريمة كذلك فعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية: النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي: التحذير.

13- المقطع التخاطبي الثالث عشر:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال، 17].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية الكريمة عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ يقول محمد علي الصابوني مفسرا هذه الآية: فلم تقتلوهم أيها المسلمون بيد بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم وما رميت في الحقيقة أنت يا محمد أعين القوم بقبضة من تراب لأن كفا من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير، ولكن الله رمى بإيصال ذلك إليهم، قال ابن عباس: أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين وقال: شأهت الوجوه، فلم يتبقى أحد منهم إلا أصاب عينيه ومنخره من تلك الرمية فولوا مدبرين. ثم يقول الله عز وجل ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ وهنا التزام منه عز وجل أي فعل ذلك ليقهر الكافرين ويتم على المؤمنين بالأجر والنصر والغنيمة فهو سميع لأقوالهم عليم بنياتهم وأحوالهم.

ثم يقول تبارك و تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال 18]. أي ذلك الذي حدث من قتل المشركين ونصر المؤمنين حق (18) وهو التزام منه عز وجل بإضعاف و توهين كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم قائمة.

(18) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 497.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

إنّ فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ الآيتين السابقتين تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول) أما القوة الإنجازية المستلزمة في كل منهما فهي (إنشاء الإلتزام).

14- المقطع التخاطبي الرابع عشر:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال ، 41].

خرج أسلوب الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الإرشاد وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ "أي اعلما أيها المؤمنون أنما غنتموه من أموال المشركين في الحرب سواء كان قليلا أو كثيرا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ قال الحسن: هذا مفتاح كلام، الدنيا والآخرة لله أي أن ذكر اسم الله على جهة التبرك والتعظيم ... قال المفسرون: تقسم الغنيمة خمسة أقسام، فيعطى الخمس لمن ذكر الله تعالى وفي هذه الآية والباقي يوزع على الغانمين وسهم من الخمس يعطى للرسول ﷺ ولقراة الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب ولهؤلاء الأصناف من اليتامى الذين مات أبؤهم والفقراء وذوي الحاجة والمتقطع في سفره من المسلمين ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره: إن كنتم آمنتم بالله فأعلموا أن هذا هو حكم الله في الغنائم فامتثلوا أمره بطاعته ... وبما أنزلنا على محمد ﷺ يوم الفرقان أي يوم بدر لأن الله فرق به بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين، والتقى فيه جند الرحمان بجند الشيطان" (19).

15- المقطع التخاطبي الخامس عشر:

(19) المرجع السابق، ج10، ص506 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۗ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةِ وَيْحَىٰ مِنْ حَيٍّ عَن بَيْتَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال، 42].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى معنى الإلتزام وذلك في قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ يقول تعالى مخبرا عن يوم الفرقان إذ انتم (المؤمنون) نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، وهم أي المشركون نزول بالعدوة البعيدة من ناحية مكة، والعرير الذي أبو سفيان بما معه من التجارة أسفل منكم أي: ما يلي سيف البحر ولو تواعدتم انتم والمشركون إلى مكان لاختلفتم في الميعاد، قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في هذه الآية قال: ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم، ولكن ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير ملاء منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ... أي أنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرا، والحجة قاطعة، والبراهين صاطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة وحينئذٍ ليستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل، لقيام الحجة عليه، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة (20).

16- المقطع التخاطبي السادس عشر:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيئُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال، 44].

(20) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص-ص 844-845.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرجت الآية الكريمة عن الفائدة الخبرية إلى غرض آخر هو الالتزام وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ يقول أبو الفداء بن كثير مفسرا الآية الكريمة:... وهذا من لطفه تعالى بهم إذ أراهم قليلا في رأى العين، فيجرؤهم عليهم، ويطمعهم فيهم، قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: لقد قُلُّوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ قال: لا، بل هم مائة، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه قال: كنا ألفا. رواه ابن أبي الحاتم، و ابن جرير. وقوله: ﴿وَيَقْلُكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ قال ابن أبي الحاتم: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن الزبير بن الخريت عن عكرمة: قال: حضض بعضهم على بعض. إسناده صحيح، وقال محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي ليلقي بينهم الحرب، للنعمة ممن أراد الانتقام منهم والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا انه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالأخر، وقلله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال وأيد الله للمؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعيفا⁽²¹⁾.

إذن: القوة الإنجازية الصريحة في هذه الآية الكريمة تتمثل في الإخبار (مقول القول) بينما القوة الإنجازية المستلزمة فقد تمثلت في (إنشاء الإلتزام).

17- المقطع التخاطبي السابع عشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الأنفال، 45].

(21) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 845-846.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

يتضح من سياق الآية أن الغرض من نداء الله عز وجل للمؤمنين هو التنبيه والإرشاد. وقد تبع هذا النداء بأمر خرج هذا الأخير عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النصح والإرشاد، فسياق الآية الكريمة يدل على أن الله عز وجل يقول للمؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة منكم وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره كيما تتجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم.

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال، 46].

وهنا أمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فيقول: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شيء، ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتضعفوا تجبنوا، وتذهب قوتكم وبأسكم ويدخلكم الوهن⁽²²⁾، وهنا تضمن قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ فعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التحذير. ثم يقول تبارك و تعالى: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهنا أمرهم كذلك بالصبر مع نبي الله ﷺ عند لقاء العدو. فيقول اصبروا ولا تنهزموا عنه وتتركوه، فإني معكم.

إن أفادت أفعال الأمر الواردة في هاتين الآيتين معنى مستلزم هو النصح والإرشاد، بالإضافة إلى معناها الأصلي الذي هو الإخبار.

18- المقطع التخاطبي الثامن عشر:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال، 47].

(22) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 47.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

تصدرت هذه الآية بفعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التحذير، حيث ينهى الله عز وجل المؤمنين على أن يكونوا مثل "أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدافعوا عن غيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف وهم يشربون الخمر، فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نفعل حتى نرد بدرًا فنقيم فيها ثلاثًا وننحر الجزر ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا، فساروا إلى بدر، فكانت الواقعة، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فأما البطر فهو الطغيان في النعم وترك شكرها، والرياء: العمل من أجل رؤية الناس⁽²³⁾.

19- المقطع التخاطبي التاسع عشر:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال، 50].

خرج الأمر في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو التوبيخ والتحقير وهو توبيخ من الملائكة للكفار حيث يقول تعالى: "ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة للكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فضيعًا منكرًا، إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، قال ابن جريج عن مجاهد ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ استاهمهم، قال يوم بدر، قال ابن جريج، قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف وإذا تولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم⁽²⁴⁾ وهذا السياق وإن كان سببه موقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر.

20- المقطع التخاطبي العشرون:

⁽²³⁾ فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ص 556.

⁽²⁴⁾ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 849.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال، 59].

تصدرت هذه الآية بفعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية النهي وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التحذير.

" يقول تعالى لنبيه ﷺ ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أي فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا " (25).

ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال، 60].

وهنا خرج أسلوب الأمر عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النصح والإرشاد، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ "المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها أنها الرمي رواه عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ ، والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة، والثالث: السلاح قاله السدي وابن قتيبة، والرابع: أنه كل ما يتقوى به على حرب العدو من آله الجهاد، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتنائها للغزو، وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور، وقوله تعالى ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ أي تخيفون به عدو الله وعدوكم وهم مشركوا مكة وكفار العرب ﴿وَأَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي من دون كفار العرب" (26).

21- المقطع التخاطبي الواحد والعشرون:

(25) المرجع السابق، ص 850 .

(26) ينظر: فرج جمال الدين بن عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم

التفسير، صص 559- 560 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال، 65].

خرج النداء في في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر أفاد التنبيه والإرشاد، حيث يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ "حث متبعيك ومصديقك على ما جئتم به على الحق، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين إن يكن منكم عشرون رجلا صابرين عند لقاء العدو، ويحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم. وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا . ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، يقول: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب، ولا لطلب أجر ولا احتساب، لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا، فهم لا يثبتون إذا دقوا خشية أن يقتلوا فتذهب دُنْيَاهُمْ " (27).

وعليه: فقد خرج الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر أفاد النصح والإرشاد وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

22- المقطع التخاطبي الثاني والعشرون:

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال، 69].

خرج الأمر في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الإباحة حيث يقول الله تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر: كلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا طيبا بإحلاله لكم. ثم يقول تبارك و تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهنا أمر كذلك خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر

(27) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 63.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

هو التحذير؛ وهو تحذير من الله عز وجل إلى المؤمنين حيث يقول: وخافوا الله إن تعودوا، أن تفعلوا في دينكم شيئا بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة، وأخذتموها من قبل أن يحلّ لكم⁽²⁸⁾.

ذلك أن الله عز وجل عاتب النبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء، والمعنى لا ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أن يكثر القتال ويبالغ فيه.

23- المقطع التخاطبي الثالث والعشرون:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال، 70].

يتضح من سياق الآية أن الغرض من نداء الله عز وجل نبيه محمد ﷺ هو التنبيه والإرشاد، وقد تبع هذا النداء بفعل أمر أفاد معنى النصيحة والإرشاد كذلك. حيث يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ أي قل لهؤلاء الذين وقعوا في الأسر من الأعداء، والمراد بهم أسرى بدر أن يعلم الله في قلوبكم خيرا وإيمانا وإخلاصا وصدقا في دعوى الإيمان يعطكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم أي يمحو ما سلف من الذنوب⁽²⁹⁾.

ثانيا: غزوة أُحُد

وردت غزوة أُحُد في القرآن الكريم في سورة آل عمران، وسنقسم الآيات المتضمنة لهذه الغزوة إلى مقاطع تخاطبية على النحو الآتي:

1- المقطع التخاطبي الأول:

⁽²⁸⁾ المرجع السابق، ص 65.

⁽²⁹⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 10، ص 515.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل

عمران، 121].

خرجت الآية عن الفائدة الخبرية إلى غرض آخر هو الإلتزام، لأن السياق يدل على أن الرسول ﷺ التزم بتنظيم مقاعد القتال استعدادا للحرب، حيث كان نزول هذه الآية عقب غزوة أُحُد فهذه الآية تشير إلى وقعة أُحُد الكائنة في شوال سنة ثلاث من الهجرة حيث نزل مشركوا مكة ومن معم من أحلافهم سفح جبل أحد، حول المدينة لأخذ الثأر لما نالهم يوم بدر من الهزيمة، فخرج رسول الله ﷺ غدوة من بيت أهله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ وفسر ذلك بخروجه من حجر عائشة يوم الجمعة غدوة فأستشار ﷺ أصحابه فيما يفعلون، -وفيهم عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين - فأشر جمهورهم بالتحصن بالمدينة حتى إذا دخل عليهم المشركون المدينة قاتلوهم في الديار والحصون فغلبوهم وإذا رجعوا رجعوا خائبين وأشار فريق بالخروج ورجبوا في الجهاد وألحوا على رسول الله ﷺ فأخذ النبي ﷺ برأي المشيرين بالخروج⁽¹⁾، وهنا نلمس التزام الرسول ﷺ بالتحضير لهذا الخروج، حيث هذا ما دل عليه الفعل الكلامي (تُبَوِّئُ) في الآية الكريمة أي ترتب وتتهيء⁽²⁾ وهذا ما أشار إليه أبو الفداء بن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم قال: ... بين لهم منازلهم وجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرهم⁽³⁾، وفي الآية دليل على أن الأئمة هم الذين يتولون ويلتزمون بأمر العساكر ويختارون لهم المواضع للحرب وعلى الأجناد طاعتهم.

فالقوة الصريحة في ملفوظ هذه الآية هي الإخبار، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي إنشاء الإلتزام، وبهذا يتحول الكلام الخبري وبقرينة المقام والسياق من مجرد تقرير الحقائق إلى إنشاء التزام يهدف إلى تغيير العالم والتأثير فيه.

(1) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص73.

(2) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج3، ص49.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص396.

2- المقطع التخاطبي الثاني:

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[آل عمران، 122].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الطلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقد تضمن ملفوظ الآية قوة إنجازية هي الأمر الموجه إلى المؤمنين بالتوكل على الله، زيادة على القوة الإنجازية المباشرة والصريحة المتمثلة في فعل الإخبار، حيث عندما أخذ النبي ﷺ رأي المستشارين بالخروج وليس لأمته، عرض للمسلمين تردد في الخروج فراجعوا رسول الله ﷺ فقال: "لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه"، وخرج بالمسلمين إلى جبل أُحُد وكان الجبل ورائهم، وصفهم للحرب، وانكشفت الحرب على هزيمة خفيفة لحقت بالمسلمين بسبب مكيدة عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين، إذا إنخزل هو وثلاث الجيش وكان عدد جيش المسلمين سبعمائة وعدد جيش مكة ثلاثة آلاف، وهمت بنو سليمة وبنو حارثة من المسلمين بالإنخزال ثم عصمهم الله، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ أي ناصرهما على ذلك الهم الشيطاني الذي لو صار عزمًا لكان سبب شقائهما، فلنعناية الله بهما برأهما من فعل ما همتا به (4)، ويقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ "لما ذكر الله تعالى ما همت به الطائفتان من الفشل وأخبر تعالى أنه وليهما ومن كان الله وليه فلا يفوز أمة إلا إليه، أمرهم بالتوكل عليه وفتح المجرور للإعتناء بمن يتوكل عليه، أو على الاختصاص على مذهب من يرى ذلك ونبه على

(4) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 70.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

الوصف الذي يقتضي ذلك وهو الإيمان، لأن من آمن بالله خير أن لا يكون اتكاله إلا عليه⁽⁵⁾

خرجت هذه الآية عن الفائدة الخبرية إلى غرض آخر كذلك هو المدح والثناء . حيث قال الله عز وجل: ﴿ طَائِفَتَانِ ﴾ وهنا وجدت إشارة لطيفة إلى الكناية عن من يقع منه ما لا يناسب، والستر عليه إذا لم يعين الطائفتين بأنفسهما ولا صرح بمن همت منه من القبائل سترتا عليهما ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ معنى الولاية هنا هو التثبيت والنصر فلا ينبغي لهما أن يفشلا، وقيل جعلها من أوليائه المثابرين على طاعته. وفي البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال فيما نزلت ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ قال: نحن طائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل، لقوله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ قال ذلك جابر من فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله، وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلك الهمة المفصوح عنها، لكونها ليست عزمًا كانت سببا لنزولها، وهذه الجملة ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ لا موضع لها من الإعراب، بل جاءت مستأنفة، لثناء الله على هاتين الطائفتين⁽⁶⁾.

وهذا ما يؤكد خروج الأسلوب الخبري في هذه الآية عن معناه الأصلي: الوصف والإخبار إلى معنى مستلزم مقاميا هو: المدح والثناء.

3- المقطع التخاطبي الثالث:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران،

[123].

(5) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ص 51 .

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص-ص 50- 51 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج الأمر في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النصح والإرشاد، حيث تضمن ملفوظ هذه الآية قوة إنجازية تمثلت في الأمر الموجه إلى المؤمنين، "إذ قد كانت وقعة أُحُد لم تتكشف عن نصر المسلمين، عقب الله نكرها بأن نكرهم الله تعالى نصره إياهم النصر الذي قدره لهم يوم بدر، وهو نصرٌ عظيم إذ كان نصر فئة قليلة على جيش كثير، ذي عدد وافرة، وكان قتلى المشركين يومئذ سادة قريش وأيمة الشرك" (7)... فإنه لما نكرهم بتلك المنة العظيمة، نكرهم بأنها سبب للشكر فأمرهم بالشكر بملازمة التقوى تأدبا بنسبة قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم، 7] ، ومن الشكر على ذلك النصر أن يثبتوا في قتال العدو، وامتنال أمر النبي ﷺ وأن لا تقل حدتهم هزيمة يوم أُحُد (8).

4- المقطع التخاطبي الرابع:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران، 124].

خرج أسلوب الاستفهام في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى فرعي مستلزم هو: النفي، وهذا ما ذهب إليه محمد بن يوسف في كتابه "تفسير البحر المحيط" مفسرا هذه الآية الكريمة حيث قال: "دخلت أداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الإنكار لإنتقاء الكفاية بهذا العدد، وكان حرف النفي لن هو أبلغ في الاستقبال من لا، إشعارا بأنهم كانوا لقتلهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكتهم كالأيسيسن من النصر، وبلى إيجاب لما بعد لن، يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية (9).

(7) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 72 .

(8) المرجع نفسه، ص 72 .

(9) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ص 53 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفوض هذه الآية هي الاستفهام، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي الإنكار.

حيث يقول عز وجل: ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران، 125].

خرجت في هذه الآية الكريمة الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام والوعد وذلك في قوله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ ؛ " بلى تصديق للوعد أي يمددكم بالملائكة إن صبرتم في المعركة واتيتم الله وأطعتم أمره وآتوكم المشركين من ساعتهم هذه يزدكم الله مددا من الملائكة معلمين على السلاح ومدربين على القتال " (10).

وعليه فإن القوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول) بينما القوة الإنجازية المستلزمة هي (إنشاء الإلتزام) .

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران، 126].

وهنا خرجت الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الاستثناء والبشرى، حيث أن معنى الآية هو: ما جعل الله ذلك الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم أيها المؤمنون لتزدادوا ثباتا ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم ولكي لا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد والعدد، وما النصر في الحقيقة إلا بعون الله وحده، لا من الملائكة ولا من غيرهم (11).

5- المقطع التخاطبي الخامس:

﴿ لَيَقَطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران، 127].

(10) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص 228 .

(11) المرجع نفسه، ص 228 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وهنا خرجت الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر أفاد الإلتزام. ويقدم أبو الفداء بن كثير تفسيراً للآية الكريمة فيقول: ليهلك أمة من الذين كفروا أي يخزيهم ويردهم بغيضهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا فيرجعوا خائبين⁽¹²⁾. وعليه: فإن القوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول)، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي إنشاء الإلتزام.

6- المقطع التخاطبي السادس:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران، 128].

خرج أسلوب النهي في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي في قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى غرض آخر هو التوبيخ؛ فلما جرى يوم أحد ما جرى، وجرى على النبي ﷺ مصائب، رفع الله بها درجته، فشح رأسه وكسرت رباعيته قال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم"، وجعل يدعو على رؤساء المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل الله تعالى على رسوله نهياً له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرده من رحمة الله، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحر على مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى وهو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إذا اقتضت حكمته ورحمت أن يتوب عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقائهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك فعل⁽¹³⁾.

(12) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 398 .

(13) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 155 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وعليه نجد أن هذه الآية قد تضمنت فعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التوبيخ .

7- المقطع التخاطبي السابع:

﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، 139].

تصدرت هذه الآية بفعل كلامي توجيهي قوته الإنجازية الحرفية النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي: التحفيز والتعزية.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا﴾ نهي للمسلمين عن أسباب الفشل، والوهن هو الضعف، وأصله ضعف الذات ... والحزن وهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار والوهن والحزن حالتان للنفس تتشأن عن اعتقاد الخيبة والرزة، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة لذلك فهو عنهما (14).

ذكر الطبري أيضا تفسيرا لهذه الآية الكريمة حيث قال: ... وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجرح والقتل بأحد، قال: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا﴾ يا أصحاب محمد يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربكم، ولا تأسفوا فتجزعوا على ما أصابكم يومئذ فإنكم الظاهرون عليهم، ولكم العقبي في الظفر والنصرة عليهم إن كنتم مصدقي نبيي محمد ﷺ فيما يعدكم، وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم (15).

8- المقطع التخاطبي الثامن:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران، 142].

(14) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التتوير، ص98.

(15) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج2، ص333.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج الاستفهام في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النفي والإنكار ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أم هنا متقطعة بمعنى (بل) الانتقالية، لأن هذا الكلام انتقال من غرض إلى آخر، وهي استعملت متقطعة تؤذن بأن ما بعدها استفهام، بما لزمها للاستفهام، حتى قال الزمخشري والمحققون، أنها لا تفارق الدلالة على الاستفهام بعدها، وقال غيره ذلك هو الغالب وقد تفارقه، واستشهدوا على مفارقتها للاستفهام بشواهد تقبل التأويل، فقوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ عطف على جملة ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾، وذلك أنهم لما مسهم القرع فحزنوا واعتراهم الوهن حيث لم يشاهدوا مثل النصر الذي شاهدوه يوم بدر. بين الله أن لا وجه للوهن للعلل التي تقدمت، ثم بين لهم هنا: أن دخول الجنة الذي هو مرغوبهم لا يحصل إذا لم يبذلوا نفوسهم في نصر الدين فإذا حسبوا دخول الجنة يحصل دون ذلك، فقد أخطأوا.

والاستفهام المقدر بعد (أم) مستعمل في التخليط والنهي، أي لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة دون أن تجاهدوا وتصبروا على عواقب الجهاد وجملة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ في موضع الحال، وهي مصب الإنكار، أي لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة حتى يعلم الله الذين جاهدوا، و(لما) حرف نفي أخت (لم) ألا أنها أشد نفيا من لم، وأريد بحالة نفي علم الله بالذين جاهدوا والصابرين الكناية عن حالة نفي الجهاد والصبر عنهم... وعقب هذا النفي بقوله ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ معطوفا بواو المعية فهو في معنى المفعول معه، لتنظيم القيود بعضها مع بعض ليصير المعنى: أتحسبون أن تدخلوا الجنة في حال انتقاء علم الله بجهادكم مع انتقاء علمه بصبركم⁽¹⁶⁾.

وعليه فإنه إلى جاني القوة الإنجازية الحرفية في الاستفهام الواردة في هذه الآية، توجد قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي: الإنكار المتولد من معنى الاستفهام.

9- المقطع التخاطبي التاسع:

(16) ينظر: محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص-ص 105-107.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل

عمران، 143]

خرجت هذه الآية الكريمة عن الفائدة الخبرية إلى غرض آخر هو العتاب، وهذا ما أفاده سياق الخطاب في هذه الآية.

حيث يعني بقوله جل ثناؤه ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تتمنون أسباب الموت، وذلك القتال، فقد رأيتم ما كنتم تمنونه و(الهاء) في قوله ﴿رَأَيْتُمُوهُ﴾ عائدة على (الموت)، والمعنى: القتال قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر، أي بقرب منكم.

وإنما قيل: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ ولأن قوما من أصحاب رسول الله ﷺ ممن لم يشهد بدرًا، كانوا يتمنون قبل أحد يومًا مثل بدر، فيبأوا الله من أنفسهم خيرا وينالوا من الأعداء مثل ما نال أهل بدر. فلما كان يوم أحد فر بعضهم، وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك، فعاقب الله من فر، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم (17).

ويضيف محمد بن يوسف موضعا ما سبق قائلا: " وهذه الآية وإن كانت صيغتها الخبر فمعناها العتب والإنكار على من انهزم يوم أحد " (18) ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران، 144].

خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التوبيخ؛ ذلك أن سياق خطاب الآية قد كشف على استمرار عتاب الله عز وجل لأصحاب الرسول ﷺ حيث: " لما صرخ بأن محمد قد قتل، تزلزلت أقدام المؤمنين، ورعبت

(17) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ص 336 .

(18) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ص 74 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

قلوبهم، وأمعنوا في الفرار، وكانوا ثلاث فرق فرقة قالت ما نصنع بالحياة بعد رسول الله ﷺ قاتلوا على ما قاتل عليه، فقاتلوا حتى قتلوا منهم انس بن النضر، وفرقة قالوا: نلقي إليهم بأيدينا فإنهم قومنا وبنو عمنا، وفرقة أظهرت النفاق وقالوا: ارجعوا إلى دينكم الأول، فلو كان نبيا ما قتل، وظاهر الانقلاب على العقبين هو الارتداد⁽¹⁹⁾.

وهنا جاء قوله تعالى: ﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ حيث عاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل بأحد (إن محمد قد قتل) ومقبحا إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزاه عنهم أفان مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدو ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدا بالدعاء إليه ورجعتهم عنه كفارا بالله بعد الإيمان به⁽²⁰⁾.

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفوض هذه الآية هي الاستفهام، بينما تكون القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فيها هي التوبيخ المتولد من معنى الاستفهام. ثم يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يعني بذلك يرتدد منكم عن دينه، فلن يوهن ذلك عزة الله وسلطانه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وهنا خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام والوعد.

حيث يعد الله الشاكرين بالثواب، سيثيب من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه، بثبوته على ما جاء به محمد ﷺ إن هو مات أو قتل، واستقامته على منهجه، وتمسكه بدينه وملته بعده⁽²¹⁾.

10- المقطع التخاطبي العاشر:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُوتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [أل عمران، 145].

(19) المرجع السابق، ص 74 .

(20) ينظر: جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 336-337.

(21) المرجع نفسه، ص 337.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وقد خرجت هذه الآية الكريمة عن الفائدة الخبرية إلى غرض آخر هو الالتزام والوعد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ أي يقول: "سأثيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه بطاعته إياي وانتهائه إلى أمري، وتجنبه محارمي في الآخرة مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم إياي " (22)

وعليه: فالقوة الإنجازية الصريحة في هذه الآية تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول) أما القوة الإنجازية فهي (إنشاء الالتزام).

11- المقطع التخاطبي الحادي عشر:

﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران، 146].

وقد خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى مجازي؛ حيث قال محمد الطاهر بن عاشور أن كلمة وكأين كلمة مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية وهو قول الخليل وسبويه، وليست أي هذه استفهاما حقيقيا ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير فاستفهامها مجازي (23) غرضه العتاب والتوبيخ .

حيث لما كان من المؤمنين ما كان يوم أحد، وعتب عليهم الله ما حذر منهم في الآيات التي تقدمت أخبرهم بأن الأمم السالفة قتلت أنبياء لهم كثيرون أو قتل ربيون كثير معهم فلم يلحقهم ما لحقهم من الوهن والضعف. ولا تناهم عن القتال فجَعُوهُم بقتل أنبيائهم، أو قتل ربيهم بل مضوا قُدما في نصره دينهم صابرين على ما حل بهم .

لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها ... الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال، أو سمعوا الصائح يصيح: (إن محمدا قد قُتل) . فعذلهم الله عز

(22) المرجع السابق، ص 338 .

(23) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التوير، ص 116 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وجل على فرارهم وتركهم القتال، فقال: أفإن مات محمد أو قُتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟. ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قُتل نبيهم-من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم- ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قُتل نبيهم ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟ وبذلك التأويل جاء تأويل المتأولين (24).

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفوض الآية هي الاستفهام، أما القوة المستلزمة مقاميا فهي التوبيخ.

12- المقطع التخاطبي الثاني عشر:

﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران، 151].

وهنا خرج الأسلوب الخبري عن معناه الأصلي إلى عرض آخر هو: الالتزام والوعد.

نجد أبي جعفر محمد جرير الطبري يفسر هذه الآية الكريمة قائلا: يعني بذلك جل ثناؤه: سليلي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد ﷺ ممن حاربكم بأحد، الرعب وهو الجزع والهلع، بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة، وهي السلطان، التي اخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم.

(24) ينظر: جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص-ص 339 - 340 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله ﷺ بالنصر على أعدائهم ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته، ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم إليه، فقال جل ثناؤه: ومرجعهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة، النار. يقول وبئس مقام الظالمين -الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله- النار (25).
وعليه: فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية الكريمة تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول). أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاما فهي (إنشاء الإلتزام).

13- المقطع التخاطبي الثالث عشر:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران، 154].

خرج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: الإنكار .

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لملفوظ هذه الآية هي الاستفهام، بينما تكون القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فيها هي الإنكار المتولد عن معنى الاستفهام.
حيث يقدم عبد الرحمان بن ناصر السعدي تفسيراً لهذه الآية فيقول: أنه قدر ذلك الهم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخفف عليكم تحمل المشقات. ثم أنزل عليكم من بعد الغم الذي أصابكم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم، ولاشك أن هذا رحمة بهم وإحسان وتثبيت لقلوبهم

(25) المرجع السابق، ص 344 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وزيادة طمأنينة، لأن الخائف لا يأتيه النعاس، لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصالحة إخوانهم المسلمين، وأما الطائفة الأخرى الذين «أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلماذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم «يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» وهذا استفهام إنكاري - كما سبق وذكرنا - ، أي ما لنا من الأمر - أي النصر والظهور - شيء، فأساءوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله (26).

ثم قال الله في جوابهم «قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ» وقد خرج أسلوب الأمر في هذه الآية الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: النفي. حيث رد عليهم العذر الباطل أي أن الله ورسوله غير محتاجين إلى أمرهم (27).

والأمر هنا يشمل الأمر القدرى، والأمر الشرعى، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره وعاقبة النصر والظفر لأوليائه، وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى. ويخفي يعني المنافقين في أنفسهم ما لا يبذون لك، ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال: يقولون لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة ما قتلنا هاهنا وهذا إنكار منهم، وتكذيب بقدر الله وتسفيه منهم لرأي رسول الله ﷺ ورأي أصحابه، وتركية منهم لأنفسهم ، فرد الله عليهم بقوله :

«قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» وهنا خرج الأمر عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النفي كذلك .

(26) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص162 .

(27) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص137 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

"وهذا الجواب جار على الحقيقة وهي جريان الأشياء على قدر من الله والتسليم لذلك بعد استفراغ الجهد في مصادفة المأمول فليس هذا الجواب ونظائره بمقتضى ترك الأسباب، لأن قدر الله تعالى وقضائه غير معلومين إلا بعد الوقوع، فنحن مأمورون بالسعي فيما عساه أن يكون كاشفا عن مصادفة قدر الله لمأمولنا، فإن استفرغنا جهودنا وحُرْمنا المأمول علمنا أن قدر الله جرى من قبل على خلاف مرادنا، فأما ترك الأسباب فليس من شأننا، وهو مخالف لما أراد الله منا، وإعراض عما أقامنا الله فيه في هذا العالم وهو تحريف لمعنى القدر، والمعنى: لو لم تكونوا هاهنا وكنتم في بيوتكم لخرج الذين كتب الله عليهم أن يموتوا مقتولين فقتلوا في مضاجعهم التي اضطجعوا فيها يوم أُخْد أي مصارعهم فالمراد بقولهم (كتب) قدر " (28).

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ خرجت الفائدة الخبرية

في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى معنى آخر هو: الالتزام .

حيث يعني بقوله ذلك جل ثناؤه: وليختبر الله الذي في صدوركم من الشك، فيميزكم - بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم- من المؤمنين وليتبينوا ما في قلوبكم من الإعتقاد لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين من العداوة أو الولاية والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر (29).

وبهذا تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفهوم هذه الآية الكريمة هي فعل الإخبار (مقول القول)، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي (إنشاء الالتزام).

14- المقطع التخاطبي الرابع عشر:

(28) المرجع السابق، ص 138 .

(29) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 350 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكِ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران، 156].

وقد خرج أسلوب النداء في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر يستلزم التنبيه والإرشاد وقد أُتبع هذا النداء بنهي خرج كذلك هذا الأخير عن معناه الأصلي إلى عرض آخر يستلزم التحذير.

حيث ينهي تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد وفي الحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي عن إخوانهم إذا سافروا للتجارة ونحوها أو كانوا في الغزو لو كانوا عندنا أي في البلد ما ماتوا في السفر ولا قتلوا في الغزو⁽³⁰⁾ إنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما يجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده⁽³¹⁾ ثم قال تعالى ردا عليهم:

أنه يحي ويميت بيده الحق وإليه يرجع الأمر، وعلمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء⁽³²⁾.

وعليه نجد أن هذه الآية الكريمة قد تضمنت فعل كلامي توجيهي، قوته الإنجازية الحرفية النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي: التحذير.

15- المقطع التخاطبي الخامس عشر:

﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران، 159].

(30) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 412 .

(31) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 352 .

(32) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 412.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

تضمنت هذه الآية أسلوب أمر خرج عن معناه الأصلي إلى معنى استلزام النصح والإرشاد. وذلك في كل من قوله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ذلك أن "صفح النبي ﷺ وعفوه ورحمته كان سببا في دخول كثير في الإسلام" (33)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فأمر نبيه هنا بمشاورة أصحابه فيما حَزَبَهُ من أمر عُدُوهِ ومكاييد حربِهِ، تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يُؤْمِنُ عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا من أُمَّتُهُ مَأْتَى الأمور التي تحزُبُهُم من بعده ومطلبها، ليقْتَدِرُوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته ﷺ. يفعلها، فأما النبي ﷺ فإن الله كان يُعْرِفُهُ مطالب وجوه ما حَزَبَهُ من الأمور بوحيه وإلهامه إياه صواب ذلك وأما أُمَّتُهُ، فإنهم إذا تشاوروا مستثنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخٍ للحق، وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم .

وأیضا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يعني: فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فأمض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك أراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها، وتوكل على ربك وثق به في كل ذلك وارضي بقضائه في جميعه (34).

وعليه فقد أفادت أفعال الأمر الواردة في هاته الآية معنى النصح والإرشاد .

16- المقطع التخاطبي السادس عشر:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران، 160].

(33) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 145 .

(34) ينظر: جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 304 - 305 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى عرض آخر هو: الإنكار. وهذا ما يؤكدّه محمد طاهر بن عاشور حيث يقول: " والاستفهام في قوله ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ إنكارى ، أي فلا ينصركم أحدٌ غيره " (35)، فإنكم لا تجدون ناصرا من بعد خذلان الله إياكم إن خذلكم، يقول عز وجل: فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني إياكم.

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية هي الاستفهام، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي الإنكار المتولد من معنى الاستفهام .

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ نجد أن الأمر قد خرج هنا عن معناه الأصلي كذلك إلى غرض آخر هو: النصح والإرشاد. حيث يأمرهم الله عز وجل بالتوكل عليه دون سائر خلقه والاستسلام لقضائه والجهاد فيه أعداءه لكي يفيهم بعونه ويمددهم بنصره (36).

17- المقطع التخاطبي السابع عشر:

﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران، 165].

خرج الاستفهام هنا عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التعجب . ويعني تعالى بذكره ذلك: أوحين أصابتكم أيها المؤمنون (مصيبة) وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أُحُد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأُحُد، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذٍ سبعين نفرا، قد أصبتم أيها المؤمنون، من المشركين مثلي المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين؛ قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأُحُد: من أي وجه

(35) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 153 .

(36) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 355 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

هذا؟ ومن أين أصابنا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفيما نبي الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء، وعودونا أهل كفر و شرك؟ (37) .

ومعنى ذلك أننا هنا بصدد قوتين إنجازيتين :

- قوة إنجازية صريحة ناتجة عن معنى الصيغة الحرفية للتركيب هي الاستفهام .

- وقوة إنجازية مستلزمة هي الإنكار المتولد من معنى الاستفهام .

ثم يجيبهم عز وجل بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ وقد خرج أسلوب الأمر

في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى استلزم التوبيخ .

حيث يقول عز وجل: قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم، يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي لا من عند غيركم، ولا من قبل أحد سواكم (38).

18- المقطع التخاطبي الثامن عشر:

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران، 167].

خرج أسلوب الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: النصح والإرشاد، ومفاد خطاب الآية يقول الصابوني: "أي: ليعلم أهل النفاق كعبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه الذين انخلوا يوم أحد عن رسول الله ﷺ ورجعوا وكانوا نحو من ثلاثمائة رجل فقال لهم المؤمنون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا أو ادفعوا بتكثيرهم سوادنا " (39)

(37) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 358 - 359 .

(38) المرجع نفسه، ص 359 .

(39) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، م1، ص 242.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

ويقول موسى بن عقبة مفسرا هذه الآية: "خرج النبي ﷺ يوم أُحُد ومعه المسلمون وهم ألف رجل، و المشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه بن أبي في ثلاثمائة، فأما القتال فمباشرة بالحرب، وفي المراد بالدفع ثلاثة أقوال أحدها: أنه التكثير بالعدد، رواه مجاهد عن ابن عباس وهو قول الحسن، وعكرمة والضحاك، والسدي وابن جريح، في آخرين. والثاني: أن معناه ادفعوا عن أنفسكم و حريمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس قول مقاتل، والثالث أنه بمعنى القتال أيضا قاله ابن زيد" (40).
والأمر من كل ما سبق يفيد معنى النصح والإرشاد .

19- المقطع التخاطبي التاسع عشر:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران، 168].

خرج الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى عرض آخر أفاد التوبيخ والتبكي، وهذا ما ذهب إليه الصابوني في كتابه: صفوة التفاسير مفسرا هذه الآية الكريمة قائلا: " أي ليعلم الله المنافقين الذين قالوا لإخوانهم الذين مثلهم وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا المؤمنون وسمعوا نصيحتنا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا هنالك فقل يا محمد لأولئك المنافقين إن كان عدم الخروج ينجي من الموت فادفعوا الموت عن أنفسكم إن كنتم صادقين في دعوكم، والغرض من التوبيخ والتبكي هو أن الموت آتٍ إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة" (41).

20- المقطع التخاطبي العشرون:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ، 169].

(40) فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ص238 .

(41) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص242.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج النهي في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النهي. وقد اختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال أحدها أن الشهداء بعد استشهادهم سألو الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس، والثاني أن رجلا قال: ياليتنا نعلم ملقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل، والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور، وأبائنا وأبنائنا وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية ذكره علي بن أحمد النيسابوري، فأما التفسير فمعنى الآية: لا تحسبهم أمواتا كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله... أي أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة (42).

والآية نص في النهي عن حسابان الذين قتلوا في سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة وبعثوا عن أعين الناس أموات... ونص كذلك في إثبات أنهم أحياء عند ربهم ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات وصف مالهم من خصائص الحياة فهم يرزقون .

21- المقطع التخاطبي الواحد والعشرون:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ، 172].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو: الالتزام والوعد، ذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كثروا راجعين إلى بلادهم ثم ندموا، لما لا يتموا على أهل المدينة ويجعلوها الفيصلة، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك ندل المسلمين إلى الذهاب ورائهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة و جداء، ولم يأذن لأحد سوى من حضر أخذاً فأنتدب المسلمون على ما بهم من الجراح

(42) ينظر: فرج جمال الدين بن عبد الرحمان بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير،

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

والأثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ. فوعد الله من أطاع منهم أمر الرسول وأجابه إلى الغزو على ما به من جراح وشدائد الأجر العظيم والثواب الجزيل (43).
إذن فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية الكريمة تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول) بينما القوة الإنجازية المستلزمة فهي (إنشاء الالتزام) .

22- المقطع التخاطبي الثاني والعشرون:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ، 173].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو :
المدح و الثناء .

حيث لما تقدم من المثبتين أخبار بأن قريشا قد جمعوا لكم، وأمر منهم بخشيتهم لهذا الجمع الذي جمعه، ترتب على هذا القول شيان: أحدهما قلبي وهو زيادة الإيمان، وهو مقابل للأمر بالخشية فأخبر بحصول طمأنينة في القلب تقابل الخشية وأخبر بما تقابل وهو أن كافيهم شر الناس هو الله تعالى، ثم أثنوا عليه بقولهم: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فدل على أن قولهم ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ هو من المبالغة في التوكل عليه وربط أمورهم به تعالى. وقيل هذه الحسبة هي قول لفهم معنى التقدير: ونعم الوكيل، قال ابن الأنباري: الوكيل الرب قاله قوم وانتهى، والمعنى أنه من أسماء وصفاته تعالى، كما تقول القهار هو الله، وقيل بمعنى الولي، والحفيظ وهو راجع إلى معنى الموكل إليه الأمور (44).

وعليه فقد تضمن ملفوظ هذه الآية الكريمة إلى جانب فعل الإخبار؛ معنى مستلزما يتمثل في المدح والثناء .

(43) محمد علي الصابوني، صفوة التقاسير، ص 244 .

(44) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ص 124 .

23- المقطع التخاطبي الثالث والعشرون:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران، 175].

تضمنت هذه الآية الكريمة فعل كلامي إنجازي قوته الإنجازية الحرفية هي النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التحذير. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾.

يقول محمد علي الصابوني مفسراً الآية الكريمة: "أي إنما ذلكم القائل (إن الناس قد جمعوا لكم) بقصد تثبيط العزائم هو الشيطان يخوفكم أوليائه وهم الكفار لترهبوهم فلا تخافوهم ولا ترهبوهم فإني متكفل لكم بالنصر عليهم، ولكن خافوا إن كنتم مؤمنين حقا إن تعصوا أمري فتهلكوا" (45).

وفي قوله خافون أمر خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التحذير.

24- المقطع التخاطبي الرابع والعشرون:

﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، 176].

خرج النهي في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر يستلزم المواساة. حيث أنه نهي للرسول ﷺ عن أن يحزن من فعل قوم يحرصون على الكفر، أي على أعماله ومعنى يسارعون في الكفر يتوغلون فيه ويعجلون إلى إظهاره وتأييده والعمل به عند سُنوح الفرص على إلقائه في نفوس الناس، وجملة لن يضرروا الله شيئاً تعليل للنهي عن أن يحزنه تسارعهم إلى الكفر بعلّة يوقن بها الرسول ﷺ ونفي لن يضرروا الله مراد به نفي أن يعطلوا ما أراده الله إن كان الله وعد الرسول إظهار دينه

(45) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 245.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

على الدين كله، وكان سعي المنافقين في تعطيل ذلك، نهى الله رسوله أن يحزن لما يبدو له من اشتداد المنافقين في معاكسة الدعوة، وبين لهم أنهم لن يستطيعوا إبطال مراد الله، تذكير له بأنه وعده بأنه متم نوره .

ووجه الحاجة إلى هذا النهي: هو أن نفس الرسول، وإن بلغت مرتقى الكمال لا تعدوا أن تعتربها بعض أوقات الشدة أحوال نفوس البشرية، من تأثير مظاهر الأسباب، وتوقع حصول المسببات العادية عندها، كما وقع للرسول ﷺ وجملة «يُرِيدُ اللَّهُ» استئناف لبيان جزائهم على كفرهم في الآخرة بعد أن بين السلامة من كيدهم في الدنيا، والمعنى: أن الله خذلهم وسلبهم التوفيق فكانوا مسارعين في الكفر لأنه أراد ألا يكون لهم حظ في الآخرة، والحظ: النصيب من الشيء النافع (46).

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفهوم هذه الآية هي: النهي، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي المواصلة الناتجة عن معنى النهي.

25- المقطع التخاطبي الخامس والعشرون:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران، 178].

خرج النهي في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الوعيد والتوبيخ.

فالآية الكريمة عطف على قوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ [آل عمران، 169]، والمقصود مقابلة الإعلام بخلاف الحسابان في حالتين: أحدهما تلوح للناظر حالة ضر، والأخرى تلوح حالة خير، فأعلم أن كلتا الحالتين على خلاف ما يترأى للناظرين؛ ويجوز كونه معطوفا على قوله ﴿وَلَا يَحْزُنُّكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران، 176]. إذ نهاه عن أن يكون ذلك موجبا لحزنه، لأنهم لا

(46) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتوير، ص-ص 172 - 173 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

يضررون الله شيئاً، ثم ألقى الله خبراً لقصده إبلاغه إلى المشركين وإخوانهم المنافقين، أن لا يحسبوا أن بقائهم نفع لهم بل هو إملاء لهم ليزدادوا به إثماً، ليكون أخذهم بعد ذلك أشد فالخطاب إما للرسول ﷺ وهو نهي عن حسابان لم يقع، فالنهي للتحذير منه أو عن حسابان خاطر خطر للرسول ﷺ غير أنه حسابان تعجب، لأن الرسول يعلم أن الإملاء ليس خيراً لهم، أو المخاطب الرسول والمقصود غيره ممن يظن ذلك من المؤمنين على طريقة التعريض مثل (لئن أشركت ليحبطن عملك) أو المراد من الخطاب كل مخاطب يصلح لذلك .

وعلى قراءة -الياء التحتية- فالنهي مقصود به بلوغه إليهم ليعلموا سوء عاقبتهم ويمرّ عيشهم بهذا الوعيد، لأن المسلمين لا يحسبون ذلك من قبل والإملاء: الإمهال في الحياة، والمراد به تأخير حياتهم، وعدم استئصالهم في الحرب حيث فرحوا بالنصر يوم أخذ، وبأن قتلى المسلمين يوم أخذ كانوا أكثر من قتلهم، فقله: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ استئناف واقع موقع التعليل للنهي على حسابان الإملاء خيراً، أي ما هو بخير لأنهم يزدادون في تلك المدة إثماً⁽⁴⁷⁾.

إذن نجد أن هذه الآية قد تضمنت فعل كلامي إنجازي قوته الإنجازية الحرفية هي: النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي الوعيد والتوبيخ .

26- المقطع التخاطبي السادس والعشرون:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، 179] .

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر استلزم الوعد، حيث يقول الصابوني أن هذا الوعد من الله لرسوله بأنه سيميز له

(47) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 174 - 176.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

المؤمن من المنافق والمعنى لن يترك الله المؤمنين مختلطين بالمنافقين حتى يبتليهم فيفصل بين هؤلاء وهؤلاء كما فعل في غزوة أُحُد حيث ظهر أهل الإيمان وأهل النفاق .

قال ابن كثير: " أي لابد أن يعقد شيئاً من المحنة يظهر فيها وليه وليفضح بها عدوه، يعرف بها المؤمن الصابر من المنافق الفاجر كما ميز بينهم يوم أُحُد " ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ قال الطبري: وأولى الأقوال بتأويله: ما كان الله ليطلعكم على قلوب عباده فتعرفوا المؤمن من المنافق والكافر، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم يوم أُحُد بالبأساء وجهاد عدوه وأنه يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين فأمنوا إيماناً صحيحاً بأن الله وحده المطلع على الغيب وأن ما يخبر به الرسول عن أمور الغيب إنما هو بوحى من الله، ثم يقدم الله عز وجل وعد مفاده إن تصدقوا رُسلي وتتقوني بطاعتي فلکم ثواب عظيم (48) .

وعليه فالقوة الإنجازية الصريحة في ملفوظ هذه الآية الكريمة تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول)، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً فيها فهي: (إنشاء الالتزام).

27- المقطع التخاطبي السابع والعشرون:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران، 180].

خرج النهي في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو التوبيخ، ذلك أنه " لما بالغ الله تعالى في التحريض على بذل النفس في الجهاد شرع هنا في

(48) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 246 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

التحريض على بذل المال في سبيل الله، وذكر الوعيد الشديد لمن يبخل بماله والمعنى لا يحسبن البخيل أن جمعه للمال و بخله بإنفاقه ينفعه، بل هو مضرة عليه في دينه ودنياه فهو شر له سيجعل الله ما بخل به طوقا في عنقه يعذب به يوم القيامة (49).

وعليه نجد أن هذه الآية قد تضمنت فعل كلامي إنجازي قوته الإنجازية الحرفية هي: النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التوبيخ المتولد من معنى النهي.

ثالثا: غزوة الأحزاب (الخندق)

وردت غزوة الأحزاب في القرآن الكريم في سورة الأحزاب، وسنقسم الآيات المتضمنة لهذه الغزوة إلى مقاطع تخاطبية على النحو الآتي:

1- المقطع التخاطبي الأول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب، 9].

هنا صدر الله سبحانه وتعالى الأمر بالنداء المتصف المنادى به بالإيمان، وتصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمام به، لأن النداء يوجب الانتباه لذلك فإذا وُجد مثل هذا التعبير لأن الأمر هام.

حيث قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ نعمة الله تعالى عام، لأنه مفرد مضاف إليه فينعم، وقوله تعالى: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي إحسانه و فضله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾ هذا التقييد لا يعني تخصيص النعمة العامة في قوله سبحانه وتعالى ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ لكنه كالتمجيد لشيء من هذه

(49) المرجع السابق، ص246.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

النعم ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ أي حين جاءتكم جنود وهذه النعمة خاصة بالذكر لأنها نعمة عظيمة، و كلمة جنود هي نكره ولكنها يراد بها التعظيم والتكثير.

وهؤلاء الجنود هم الأحزاب من المشركين واليهود الذين تحزبوا لقتال النبي ﷺ وكانت هذه في السنة الخامسة من الهجرة في شوال، وسببها أن الأشراف من بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ من المدينة لاشك أن قلوبهم امتلأت حقدا على النبي ﷺ وعداوة، فلما رأوا انتصار قريش في أحد أرادوا أن يستغلوا هذا الأمر، فذهبوا إلى قريش وحرصوهم على قتال النبي ﷺ ووعدهم أن ينصروهم بكل ما يستطيعون وأن يتصلوا ببني قريضة الذين بقوا في المدينة من أجل أن يساعدهم فاجتمعت أحزاب عظيمة قدرت بعشرة آلاف مقاتل معهم العدة والسلاح والعتاد، وحضروا إلى المدينة؛ ولما علم بهم النبي ﷺ اهتم بذلك اهتماما عظيما، ولكن اهتمام الرسول ﷺ لا يعني الجبن والخوف والضعف ولكنه يعني الإستعداد والحذر، آخذا بتوجيه الله عز وجل، فخرج بأصحابه بثلاثة آلاف مقاتل فقط، ونزلوا عند سلع وجعلوه خلف ظهورهم، وحفروا الخندق بمشورة سلمان الفارسي ﷺ من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية، قال عز وجل: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ سلط الله عز وجل ريحا شرقية شديدة ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة لأن الله تعالى حجب الملائكة عن أعين الناس⁽¹⁾. وهذا تنكير منه عز وجل.

إن في هذه الآية خرج النداء عن معناه الأصلي إلى غرض آخر استلزم التنبيه والتذكير.

2- المقطع التخاطبي الثاني:

(1) ينظر: محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1436 هـ، ص-ص 90-96 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب، 13].

خرج النداء كذلك في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى آخر استلزم النصح والتحريض من قبل المنافقين لأهل يثرب.

حيث وفي تفسير لهذه الآية يقول المارودي: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ قرأ حفص بن عاصم بضم الميم، والباقون بالفتح، وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: وهو قول الفراء أن المقام بالفتح الثبات على الأمر، وبالضم الثبات في المكان.

والثاني: وهو قول ابن مبارك أنه بالفتح المنزل وبالضم الإقامة، وفي تأويل ذلك ثلاثة أوجه:

أحدهما: أي لا مقام لكم على دين محمد فأرجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن.

الثاني: لا مقام لكم على القتال فأرجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي .

الثالث: لا مقام في مكانكم فأرجعوا مساكنكم، قال النقاش⁽²⁾. وهذا نداء غرضه النصح، وهو نصح من المنافقين لأهل يثرب.

3- المقطع التخاطبي الثالث:

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب، 16].

(2) ينظر: الحسن علي بن محمد بن حبيب المارودي البصري، النكت و العيون تفسير المارودي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ط، ج 1، 364-45 هـ، ص-ص 381 - 382 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج الأمر في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو النفي والتحذير، ذلك أن الله عز وجل " يخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبب في تعجيل أخذهم غرة " (3).

ولهذا قال: ﴿ لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ و في هذه الآية نهى خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو التوبيخ والوعيد، أي لا تمتعون بعد الفرار إلا مدة قليلة.

يورد السعدي تفسيراً للآية الكريمة أيضاً قائلاً: " قل لهم لائماً على فرارهم مخبراً أنهم لا يفيدهم ذلك شيئاً فلو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، والأسباب تنفع، إذ لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب وبطلت كل وسيلة ظنها الإنسان تنجيه، وإذا فررتم لتسلموا من الموت والقتل ولتمتعوا في الدنيا فإنكم لا تمتعون إلا قليلاً متاعاً لا يسوى فراركم وترككم أمر الله، وتقويتكم على أنفسكم التمتع الأبدي في النعيم السرمدى" (4).

4- المقطع التخاطبي الرابع:

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب، 17].

خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى آخر استلزم الإنكار، وفي تفسير هذه الآية يقول البغوي: أي من يمنعكم من عذابه إن أراد بكم هزيمة أو أراد بكم نصرة (5).

ويقول السعدي: أنه بين عز وجل إن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئاً، إذا أراد الله بسوء، فقال ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ أي يمنعكم من الله إن أراد بكم

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1486.

(4) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج 21، ص 775.

(5) محمد بن مسعود البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة، الرياض، ط 1، مج 5، ج 21، 1989م،

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

سواء أي شرا أو أراد بكم رحمة؟ فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو⁽⁶⁾.

وعليه تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفهوم هذه الآية هي الاستفهام، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي: الإنكار.

5- المقطع التخاطبي الخامس:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب، 18].

خرج الأمر في قوله تعالى عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: النصح والتحريض.

وذلك في قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي ارجعوا، يخبر الله تعالى عن إحاطته علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم أي: أصحابهم وعشرائهم وخطائهم ارجعوا إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك ولا يأتون البأس إلا قليلا⁽⁷⁾.

ويقدم البغدادي تفسيراً للآية الكريمة ذكراً سبب نزولها فيقول: في قوله تعالى:

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد أخاه لأمه وأبيه وعنده شواء ونبيد، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله بين الرماح السيوف؟ ، فقال لهم إلي لقد أحيط بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً، فقال له: كذبت، والذي يحلف به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول

(6) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 775 .

(7) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص 1487.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية إلى قوله تعالى ﴿يَسِيرًا﴾، هذا قول ابن زيد .

والثاني: أنهم اليهود دعوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال ، قاله مقاتل .
والثالث: أنهم المنافقون دعوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ حكاة
المارودي⁽⁸⁾. وفي كل الأحوال فإن الأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى معنى
يستلزم التحريض .

6- المقطع التخاطبي السادس:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب، 21].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى معنى مستلزم
مقاميا هو: المدح والثناء، لأن سياق الآية يدل على مدح الله عز وجل للرسول ﷺ .
يقول ابن كثير أن " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التآسي برسول الله ﷺ في
أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله عز وجل الناس بالتآسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب،
في صبره ومصابرتة ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات
الله و سلامه عليه دائما إلى يوم الدين، ولهذا قال الله تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا
وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
أي هلا تقديتكم به و تأسيتم بشمائله؟ " (9).

7- المقطع التخاطبي السابع:

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب، 23] .

(8) فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير،
ص1118.

(9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1487 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية الكريمة عن معناها الأصلي إلى غرض آخر يستلزم المدح والثناء، وهو مدح من الله عز وجل للذين بايعوا على أن لا يفروا وصدقوا في اللقاء يوم أحد، أو قوم لم يشهدوا بدرًا فعاهدوا الله ألا يتأخروا عن رسوله في حرب حضرها وأمر بها، فوفوا بما عاهدوا فمنهم من مات ومنهم من ينتظر الموت، أو قضى عهده قتلاً، أو عاش ومنهم من ينتظر أن يقضيه بقتال، أو صدق لقاء، أو لتجنب: النذر وعلى الأول الآجل وعلى الثاني العهد ما غيروا كما غير المنافقون، أو ما بدلوا عهدهم بالصبر ولا نكثوا بالفرار⁽¹⁰⁾.

رابعاً: غزوة خيبر

وردت غزوة خيبر في القرآن الكريم في سورة الفتح، وتضمنت هذه الآية واحدة تخص هذه الغزوة.

المقطع التخاطبي:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فُلْنِ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح، 15].

ومعنى الآية الكريمة أي سيقول الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، عند ذهابكم إلى مغانم خيبر لتحصلوا عليها أتركونا نخرج معكم إلى خيبر نقاتل معكم -وخيبر هي معركة جرت بين المسلمين وبين اليهود كانت في محرم من السنة السابعة للهجرة- وهنا خرج الأمر عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو الترجي والطلب، يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعده لأهل الحديبية من

⁽¹⁰⁾ عز الدين الشافعي عبد العزيز بن عبد السلام السليمي الدمشقي الشافعي، تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط1، ج 2، 1996م، ص568.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

جعل غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة إذا رجعوا من الحديبية على صلح ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ والأمر هنا غرضه النفي أي قل لهم لا تتبعونا فلن يكون لكم فيها نصيب، كذلك حكم الله تعالى بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب قبل رجوعنا منها (1).

خامساً: غزوة حنين

وردت غزوة حنين في القرآن الكريم في سورة التوبة، وتضمنت هذه الأخيرة آية واحدة.

المقطع التخاطبي:

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة، 27].

خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام، وهو التزام من الله عز وجل بتوبته على من يشاء.

حيث يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلاً بالسيف على من يشاء من الأحياء، يُقبلُ به إلى طاعته، والله غفور لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها، رحيم بهم، فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يواخذهم بها بعد إنابتهم (1).

وقد نزلت هذه الآية في غزوة حنين التي كانت " بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان للهجرة، و ذلك لما فرغ عليه الصلاة والسلام من فتح مكة، وتمهدت أمورها،

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، م 3، ج 26، ص 221.

(1) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 96.

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ " (2) ، فبلغه أن أشرف هوزان جُمِعوا له ليقاتلوه فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس (وهو واد في ديار هوزان)، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما التقوا أعجبتهم كثرتهم فهُزِموا، وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم أنكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فأنكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ ، و بعضهم يقول: ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، بعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان، فجعل النبي يقول للعباس: " نادِ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمره، يا أصحاب سورة البقرة " فنادى ، وكان صَيِّتاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت إلى أولادها، يقولون: " يا لبيك "، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم فقال: " الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب " ثم قال للعباس: "ناولني حصيات " فناوله، فقال: " شاهت الوجوه " ورمى بها، وقال: " انهزموا ورب الكعبة " ففدفت الله في قلوبهم الرعب فانهزموا.

وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفا من تراب، فرماه بها فانهزموا وكانوا يقولون ما بقي من احد إلا وامتألت عيناه بالتراب (3).

وعليه فالى جانب القوة الإنجازية الصريحة المتمثلة في (مقول القول) في هذه الآية الكريمة، نجد قوة إنجازية مستلزمة تمثلت في (إنشاء الالتزام)، وهو التزام من الله عز وجل بتوبته على من يشاء.

سادسا: غزوة تبوك

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص869.

(3) ينظر: فرج جمال الدين عبد الرحمان بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ص- 574- 575 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وردت غزوة تبوك في القرآن الكريم في سورة التوبة، وسنقسم الآيات المتضمنة لهذه الغزوة إلى مقاطع تخاطبية على النحو الآتي:

1- المقطع التخاطبي الأول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة، 38].

خرج النداء في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التوبيخ، وتبع هذا النداء استفهام خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر، يقول محمد علي الصابوني: أنه استفهام للتفريع والتوبيخ، ذلك أنه توبيخ على ترك الجهاد وعتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك وهي الغزوة التي خرج الرسول ﷺ لها في رجب من العام التاسع للهجرة بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر، وتُعد غزوة تبوك هي آخر الغزوات التي خاضها الرسول بدأت تداعيات تلك الغزوة عندما قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد الكيان الروماني المسيطر على المنطقة؛ فخرجت جيوش الروم العرمرمية بقوى رومانية وعربية تقدر بأربعين ألف مقاتل قابلها ثلاثون ألفاً من الجيش الإسلامي وانتهت المعركة بلا صدام أو قتال لأن الجيش الروماني تشتت وتبدد في البلاد خوفاً من المواجهة .

ومعنى الآية: مالكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم أخرجوا لجهاد أعداء الله -وهنا أمر خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر أفاد النصح والإرشاد- تباطئتم وتثاقلتم، وملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه ؟

إن هنا تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفهوم هذه الآية هي الاستفهام، بينما تكون القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً فيها هي التوبيخ المتولد من معنى الاستفهام .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

ثم يقول الله عز وجل: ﴿أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي أرضيتم بنعيم الدنيا ومتاعها الفاني بدل نعيم الآخرة وثوابها الباقي؟ وهنا استفهام كذلك خرج عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو التعجب والتوبيخ فما التمتع بلذائذ الدنيا في جنب الآخرة إلا شيء مستحقر قليل لا قيمة له (1).

وعليه فالإلى جانب القوة الإنجازية الحرفية للاستفهام الواردة في قوله تعالى:

﴿أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ فقد تضمن قوتين إنجازيتين :

-قوة إنجازية مستلزمة (أولى) متولدة عن معنى المعنى و هي: التوبيخ .

-قوة إنجازية مستلزمة (ثانية) متولدة عن معنى (معنى المعنى) هي: التعجب .

2- المقطع التخاطبي الثاني:

﴿إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة، 39].

وقد خرجت الفائدة الخبرية في هذه الآية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو: الالتزام بالوعيد.

وذلك في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، ومعنى

الآية الكريمة: " أي إذا لا تخرجوا إلى الجهاد مع رسول الله يعذبكم الله عذابا أليما وموجعا، باستيلاء العدو عليكم في الدنيا، وبالنار المحرقة في الآخرة .

وقال ابن عباس: هو حبس المطر عنهم ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يهلككم

ويستبدل قوما آخرين خيرا منكم، يكونوا أسرع استجابة لرسوله وأطوع ولا تضروا الله شيئا بنتاقلكم عن الجهاد فإنه سبحانه غني عن العالمين قادر على كل ما يشاء ومنه

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج 1، ج 10، ص 535 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

الانتصار على الأعداء بدونكم، قال الرازي: وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث أنه تعالى قادر لا يجوز عله العجز، فإذا توعد بالعقاب فعل «(2)».

إذن فالقوة الإنجازية الصريحة تتمثل في فعل الإخبار (مقول القول)، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً فهي: (إنشاء الالتزام) .

3- المقطع التخاطبي الثالث:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة، 46].

خرج الأمر في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التثبيط وذلك في قوله تعالى: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، في تفسير لهذه الآية الكريمة يقول ابن كثير ولو أرادوا الخروج معك إلى الغزو لكانوا تاهبوا له ولكن أبغض أن يخرجوا معك قدراً، فأخبرهم⁽³⁾، لأنهم لو خرجوا فيكم يا معشر المؤمنين المجاهدين ما زادوكم إلا خبالاً أي نقصاً، ولأوضاعكم خلالكم ولسعوا في الفتنة وفرقوا بين جماعتكم المتآلفة، حريصون على فتنكم وإلقاء العداوة بينكم لما تشبعت قلوبهم بالنفاق والضلال⁽⁴⁾.

4- المقطع التخاطبي الرابع:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة، 64] .

(2) المرجع السابق، ص 536 .

(3) ابن كثير، تفسر القرآن العظيم، ص 885 .

(4) عمر بن موسى الحافظ، وفتات مع سورة التوبة، دار القاسم للنشر، الرياض، ط 1 ، 1416هـ، ص 45 .

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خرج الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوا﴾ عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التوبيخ.

حيث يشير ويبعثر ويفضح تبارك وتعالى في هذه الآية ما أكننته تلك الصدور الحالكة السقيمة، بحيث تصبح أسرارهم وفضائحهم مكشوفة حتى تكون علانية لعباده وليكونوا عبرة للمعتبرين، ذلك أنهم يقولون القول بينهم عسى الله ألا يفشي علينا سرنا هذا، لذلك قال عز وجل: استمروا فيما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية فالله مخرج ما تحذرون، وقد وفى الله تعالى بوعده فانزل هذه السورة (التوبة) فهتك أستارهم، فمن فضائحهم كرههم للشريعة الغراء، وكفرهم بها واستهزائهم بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف...⁽⁵⁾.

5- المقطع التخاطبي الخامس:

﴿وَلئن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَباللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة، 65].

أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب في حقك وفي حق الإسلام، ليقولون لك ما كنا جاحدين، وإنما كنا نمزح ونلعب للترويح عن النفس، قال الطبري: بينما رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات! هيهات!! فأطلع الله نبيه فاتاهم فقال: قلتم كذا و كذا فقالوا: يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت ﴿قُلْ أَباللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ وفي هذه الآية استفهام خرج عن مغناه الأصلي إلى عرض آخر هو: التوبيخ، وهذا ما أكده

(5) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 48-49 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

أبو الفداء بن كثير في تفسير لهذه الآية قائلاً: أي قل لهؤلاء المنافقين: أتستهزئون بدين الله و شرعه، و كتابه و رسوله؟ والاستفهام للتوبيخ⁽⁶⁾.

ومعنى ذلك أننا هنا بصدد قوتين إنجازيتين:

-قوة إنجازية صريحة ناتجة عن معنى الصيغة الحرفية للتركيب هي الاستفهام.

-قوة إنجازية مستلزمة هي التوبيخ المتولد عن معنى الاستفهام .

6- المقطع التخاطبي السادس:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ يُعْطَىٰ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة ، 66].

وقد خرج النهي في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ عن معناه الأصلي إلى غرض آخر هو: التوبيخ والعتاب، أي لا تعتذروا بتلك الأيمان الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور أمركم، فقد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول بعد إظهاركم الإيمان وإن نعف عن فريق منكم لتوبيتهم وإخلاصهم نعذب فريقاً آخر لأنهم أصروا على النفاق والإجرام⁽⁷⁾.

وعليه: نجد أن هذه الآية قد تضمنت فعل كلامي إنجازي، قوته الإنجازية هي: النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي: التحذير.

7- المقطع التخاطبي السابع:

(6) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج1، ج 10، ص 546 .

(7) المرجع نفسه، ص 546 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة ، 108].

تضمنت هذه الآية الكريمة نهى من الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، وهذا النهي خرج عن معناه الأصلي إلى عرض آخر استلزم التحذير.

وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من المنافقين بالغوا في الإجرام حتى ابتنوا مجمعا يدبرون فيه الشر، وسموه مسجدا مضارة للمؤمنين، وقد اشتهر باسم "مسجد الضرار" نصرة للكفر الذي يخفونه وتفريقا للمؤمنين وترقبا وانتظارا، لقدوم أبي عامر الفاسق الذي قال لرسول الله: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، وهو الذي أمرهم ببناء المسجد ليكون معقلا له.

فلما أقبل رسول الله ﷺ -يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار-، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: "إني على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله ﷺ، ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه.

فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالف بن عوف، ومعن بن عدي أخا بلعجلان، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

وقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي من الله لرسوله ﷺ والأمة تبع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي يصلي فيه أبدا ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس على التقوى وهي طاعة الله ورسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا ومؤتلا للإسلام وأهله.

وعليه نجد أن هذه الآية قد تضمنت فعل كلامي إنجازي قوته الإنجازية الحرفية هي النهي، وقد تضمن قوة إنجازية مستلزمة هي التحذير.

ثم يقول الله عز وجل: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ وفي هذه الآية الكريمة خرجت الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى معنى مستلزم هو المدح والثناء، مدح من الله عز وجل لأهل هذا المسجد، ذلك أن هذا المسجد فيه رجال أتقياء وهم الأنصار يحبون أن يتطهروا من الذنوب والمعاصي والله يحب المطهرين المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة (8).

8-المقطع التخاطبي الثامن:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة، 109].

خرج الاستفهام في هذه الآية الكريمة عن معناه الأصلي إلى غرض آخر استلزم الإنكار.

حيث في هذه الآية أشار الله عز وجل إلى فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار فقال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾ والمعنى: هل

(8) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 907 - 908 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

من أسس بنيانه على التقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة خير أم هذا الذي أسس بنيانه على طرف وادٍ متصدع مشرف على السقوط؟ ﴿فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ والآية الكريمة على سبيل التشبيه والتمثيل لعمل أهل الإخلاص، الإيمان، وعمل أهل النفاق والضلال، والمعنى هل من أسس ببيان دينه على التقوى والإخلاص كمن أسسه على الباطل والنفاق الذي يشبه طرف الوادي أو الجبل الذي أشفى على السقوط؟ (9).

وعليه: تكون القوة الإنجازية الصريحة لمفوض الآية هي الاستفهام، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي: الإنكار.

سابعاً - نتائج:

1- اشتملت غزوة بدر على ثلاثة وعشرون مقطعا تخاطبيا لاحظنا من خلالها أن نسبة الأساليب الخبرية وكذا الإنشائية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة كانت متساوية (حيث تكرر كل منهما عشر مرات) ذلك أن: الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي يجعل القارئ يشاركه أفكاره ومشاعره ويثير ذهنه وانتباهه.

2- في غزوة أُحُدُ بينت لنا أن المقاطع التخاطبية الواردة فيها والبالغ عددها سبعة وعشرون مقطعا أن عدد الأساليب الخبرية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة قد بلغ أربعة عشر مرة، بينما بلغ عدد الأساليب الإنشائية التي خرجت بدورها كذلك عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة أربعة وعشرون مرة.

(9) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 562 .

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

3- في غزوة الأحزاب والتي بلغ عدد مقاطعها سبعة مقاطع، لاحظنا من خلالها أن الفائدة الخبرية خرجت عن معناها الأصلي إلى غرض آخر استلزم المدح والثناء في مقطعين فقط. أما باقي المقاطع فكلها خرجت فيها الأساليب الإنشائية إلى أغراض أخرى مستلزمة.

4- احتوت غزوة خيبر على مقطع تخاطبي واحد؛ اشتمل على أسلوب إنشائي تمثل في الأمر الذي خرج عن معناه الأصلي إلى معنى مستلزم مقاميا هو الترجي تارة والنفى تارة أخرى.

5- أما بالنسبة لغزوة حنين فقد اشتملت على مقطع تخاطبي واحد؛ خرجت فيه الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر هو الالتزام، حيث لاحظنا أنه إلى جانب القوة الإنجازية الصريحة المتمثلة في (مقول القول) في هذا المقطع وجدت قوة إنجازية مستلزمة تمثلت في (إنشاء الالتزام).

6- أما في غزوة تبوك والتي قسمناها إلى ثمان مقاطع تخاطبية، اتضح لنا من خلالها وجود مقطع واحد فقط خرجت فيه الفائدة الخبرية عن معناها الأصلي إلى غرض آخر مستلزم مقاميا هو الالتزام والوعد، أما باقي المقاطع فقد تنوعت فيها الأساليب الإنشائية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة مقاميا.

7- وعليه، نلاحظ أن نسبة الأساليب الخبرية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة قد بلغت نصف نسبة الأساليب الإنشائية التي خرجت بدورها عن معانيها الأصلية إلى معاني مستلزمة في خطاب آيات الغزوات الست، ذلك أن للأساليب الإنشائية قيمة جمالية فنية -تؤثر على المتلقي- أكثر منها في الأساليب الخبرية.

الفصل الأول: _____ الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات

خلاصة:

من خلال التحليل التداولي من منطلق مفهوم الاستلزام التخاطبي تبين لنا أن قصص الغزوات في القرآن الكريم قد تضمنت دلالات صريحة ومباشرة، ودلالات مستلزمة غير مباشرة، تُستنبط من خلال السياق التداولي لها، كما تبين لنا أن الاستلزام التخاطبي قد راعى مبدأ التعاون وقواعده المتمثلة في: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وكذا قاعدة جهة الخبر التي ترتبط بما يراد قوله. ولهذا الاستلزام التخاطبي قيمة جمالية فنية تؤثر في المتلقي وتؤدي إلى التفاعل والاندماج مع الخطاب ووضوح معانيه وزوال اللبس والغموض فيه؛ ومنه فهم الخطاب وإدراك مقاصده.

الفصل الثاني:

الحجاج في قصص

الغزوات

توطئة

إن المتفحص للدرس اللساني البلاغي قديما وحديثا لا يجد تعريفا مضبوطا للحجاج، ذلك أنه عبارة عن مفاهيم مختلفة ومشاركة نظرا لتداخل موضوعه بعلوم شتى كالفلسفة والقانون والبلاغة... إلخ، وسنحاول فيما يأتي تقديم نظرة عامة عن الحجاج.

الحجاج هو نظرية لسانية وضع أسسها اللغوي الفرنسي (أزفالد ديكرود) منذ سنة 1973م، تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها الكلام، وذلك بقصد توجيه المخاطب وجهة ما⁽¹⁾، يشير صابر الحباشة في كتابه الموسوم بـ "التداولية والحجاج مدخل ونصوص" إلى أن (ديكرود) يفرق بين معنيين للفظ الحجاج، المعنى العادي والمعنى الفني الاصطلاحي، والحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني.

1- الحجاج بالمعنى العادي: يعني الحجاج بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعالا، وهذا معيار أول لتحقق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع (أو المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبه للسامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المستقبل من أجل تحقيق التأثير⁽²⁾.

(1) حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم

134، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 2006م، ص55.

(2) ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، د.ط،

2008م، صص21-22.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

2- الحجاج بالمعنى الفني: يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون بين سلالم⁽³⁾.

ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم "الحجاج" بصفة عامة، ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال؛ المنطقي فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

1. - كل اللغويين علماء.
- زيد لغوي.
- إذن زيد عالم.
2. - انخفض ميزان الحرارة.
- إذن سينزل المطر.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو قياس منطقي، أما في المثال الثاني، فإنه لا يعدو وان يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني. واستنتاج أن زيدا عالم في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج نزول المطر

(3) المرجع السابق، ص 21.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة وهو استنتاج احتمالي⁽⁴⁾.

وعليه يمكننا القول أن الحجاج هو حدث كلامي يدخل تحت الجانب اللغوي التلفظي، وهو يُعنى بتقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة أو انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. وللحجاج أنواع: حجاج منطقي (عقلي) هو ذلك الذي يستعمل أدلة تستسيغها العقول السليمة، وحجاج لغوي وهو ذلك الحجاج الذي يستصغي الجوانب البلاغية واللغوية كالتشبيه والاستعارة والتقديم والتأخير، وهناك كذلك الحجاج المحادثي والحجاج القانوني⁽⁵⁾.

وللحجاج آليات نذكر منها:

1- السلم الحجاجي: تنطلق نظرية السلام الحجاجية عند "ديكرو" من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين قول الحجة والنتيجة، ومعنى التلازم أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة أن النتيجة يُصرح بها أو تبقى ضمنية⁽⁶⁾، ويعرف "ديكور" السلم على أنه فئة حجاجي موجهة أو نظام ترتيب للحجج و ينصُّ على أن:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة .

(4) حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص56.

(5) ينظر: بولمعالي النذير، حفيظة هجرسي، تجليات الحجاج اللغوي في القرآن الكريم من خلال تفسير كتاب الله العزيز للشيخ: هود بن محكم الهواري، مجلة التواصلية، جامعة يحي فارس المدينة، الجزائر، ع 10، 2017م، ص-ص 221-222.

(6) ينظر: حسين بوبلوطه، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إشراف: د.إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: 2009-2010م، ص-ص 71-72.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى نتيجة (ن) فهذا يستلزم أن (ج) و (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إلى النتيجة نفسها والعكس غير صحيح [علما أن (أ، ب، ج، د) كلها حجج¹⁽⁷⁾].

2- الروابط الحجاجية: نجد بأن أهمية هذه الأخيرة بارزة في التسلسل اللغوي (إيصال معاني الأفعال إلى الأسماء) ثم لها دور في استنتاج المعنى (الحرف+المعنى)⁽⁸⁾، فهي وحدات مورفولوجية (مورفيمات) تصل بين ملفوظين أو عدة ملفوظات يجري سوقها في إطار استراتيجية حجاجي واحدة⁽⁹⁾، "وعند ديكور هي العناصر اللغوية الخاصة بالحجاج، والتي تربط بين الأقوال أو بين الحجج أو بين حجة أو نتيجة مثل الأدوات التالية: لكن، إذن، بل، لأن، حتى..."⁽¹⁰⁾، وأدوات الشرط: (لو، لولا، إذا، ...)، وكذلك لام التعليل التي من شأنها الربط الحجاجي بين الحجة والنتيجة.

3- العوامل الحجاجية: إذا كانت الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين، فإن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية فهي تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما⁽¹¹⁾، ومن بين هذه العوامل نجد أدوات الحصر (القصر) [المتمثلة في: العوامل (ما... إلا)، (لا... إلا)، وإنما]، وأدوات

⁽⁷⁾ بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة علوم إنسانية، جامعة سطيف، الجزائر، ع44، 7/جانفي/2010م، ص19.

⁽⁸⁾ ينظر: أبو بكر العزاوي، تنسيق: حسن مسكين، الحجاج اللغوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2017م، ص- ص55-56.

⁽⁹⁾ تومي عيسى، الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني-دراسة في آيات من سورة البقرة-، قسم الآداب واللغة العربية، المدرسة العليا للأساتذة، ورقلة، ص26.

⁽¹⁰⁾ مختار حسيني، الحجاج اللغوي بين النظرية والتطبيق، مجلة لسانية معاصرة، مركز البحث في العلوم

الإسلامية والحضارة في الاغواط، الجزائر، مج: 1، ع 2، ديسمبر 2020م، ص75.

⁽¹¹⁾ حسن بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص130.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

التوكيد: (أَنَّ، إِنَّ، لام التوكيد)، وكذلك أفعال الكلام (والتي تتكون من أفعال إخبارية وأفعال إنشائية، وتشمل هذه الأخيرة كل من الاستفهام، الأمر، النهي، والنفى)⁽¹²⁾.
ونشير إلى أن كل هذه الروابط والعوامل المذكورة أعلاه تشكل ركنا أساسيا في عملية البناء الحجاجي وكذا في الإقناع.

وبعد فإن المتأمل في قصص غزوات المسلمين المذكورة في القرآن الكريم يجد أن بنائها قد تم بجملة من الألفاظ ذات البعد الحجاجي، وتختلف هذه الألفاظ باختلاف الخطاب القرآني الذي تارة موجه إلى النبي ﷺ وتارة أخرى يروي أحداث للأمم السالفة من معجزات ربانية، فتتعدد الألفاظ الحجاجية باختلاف الحدث الكلامي في الخطاب، ولا يمكننا فهم البعد الحجاجي لهذه الأخيرة إلا باستخراج تلك الآليات الحجاجية والتي حاولنا في هذا الفصل تطبيقها على قصص الغزوات معتمدين في ذلك على آراء بعض العلماء والمفسرين، ومركزين كذلك على غزوتين فقط (غزوة بدر، وغزوة أُحُد) نظرا لعدم تضمن الغزوات الأخرى على نصوص كافية لتطبيق الآليات الحجاجية المذكورة سابقا.

أولا: غزوة بدر

وردت غزوة بدر في سورتي آل عمران والأنفال في آيات مختلفة، لذلك نقسم هذه الآيات إلى مقاطع حجاجي على النحو الآتي:

1- المقطع الحجاجي الأول:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران، 123].

⁽¹²⁾ ينظر: حياة دحمان، تجليات الحجج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: د. عزالدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2012-2013م، ص-ص 192-194.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

تتمثل الصورة الحجاجية لهذه الآية في حجة تقضي إلى نتيجة؛ الحجة هي نصر الله للمؤمنين في غزوة بدر على الرغم من كونهم أذلة، ونعني بهذه الأخيرة جمع ذليل وأراد به الله عز وجل هنا قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم⁽¹⁾، أما النتيجة المتوقعة فتتمثل في الوصول إلى فكرة أن النصر يأتي من عند الله وحده عز وجل لا بكثرة العدد.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

أ- التوكيد: جاء هذا الأخير ب: (قد) ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ حيث يتبين لنا أن الله عز وجل جاء مؤيدا قوله بهذا التوكيد من باب إقناع المخاطبين بأن النصر لا يأتي إلا من عنده.

ب- الأمر: وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَاتَّقُوا﴾ يتبين لنا أن فعل الأمر الذي أصدره عز وجل: (فاتقوا) يكتسب بعدا حجاجيا، إذ تضمن حجة تقضي إلى نتيجة هي: إثبات وجود نعمة هي النصر رغم قلة العدد وجب على إثرها التزام المؤمنين بتقوى الله و شكره، والامتثال لأمر نبيه ﷺ.

وبهذا يتبين لنا أن نوع الحجاج لا هو حجاج منطقي ولا هو لغوي ولا محادثي، بل نحن نرى أن هذا نوع آخر من الحجاج يخالف الأنواع السابقة، فليس من المنطق أن تكون الغلبة للقلة و الأذلة، إنما هو تدخل الهي وتوفيق منه.

2-المقطع الحجاجي الثاني:

(1) محمد الحسين مسعود البغوي، تفسير البغوي، ص98.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ورد في الآية: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران، 124].

الحجة هنا هي قلة عدد المؤمنين المقاتلين، أما النتيجة المرتقبة فهي تشكيل مفهوم كفاية المقاتلين المسلمين بعد انضمام الملائكة إلى جانبهم.

واشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- الاستفهام: وذلك في قوله تعالى : ﴿...أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾، وفي تفسير هذه الآية الكريمة نجد محمد علي الصابوني في كتبه "صفوة التفسير" يقول: " أي تقول يا محمد لأصحابك أما يكفكم أن يعينكم الله بإمداده لكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لنصرتكم "(2)

ونلتمس هنا استفهاما كما سبق وذكرنا، ويعد هذا الأخير من الآليات التوجيهية بوصفها توجه المرسل إلى ضرورة الإجابة عنها، فيستعملها المرسل للسيطرة على مجريات الأحداث وكذا للسيطرة على ذهن المرسل إليه وتسير الخطاب اتجاه ما يريد المرسل، فالسؤال ليس مقصودا لذاته، لأن المستفهم لا يحتاج في الحقيقة إلى إجابة المخاطب ولا هو منتظر له، وإنما وظف السؤال حتى يكون مثبتا لذلك الجواب المفترض (إثبات أن هذا العدد من الملائكة كاف) .

يقول محمد بن يوسف في كتابه "تفسير البحر المحيط": "دخلت أداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الإنكار والانتفاء بهذا العدد من الملائكة "(3)، بينما نرى خلاف ذلك، حيث يتبين لنا أن الغرض الأساس من الاستفهام هنا هو التعجب.

(02) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ج1، ص228.

(03) محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ص53.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

إن فالاستفهام كما هو واضح يلعب دورا كبيرا في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية، نظرا لما يحدثه من جلب المتلقي إلى فعل الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب، ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة.

ب- الإعراض عن قضية أن عدد الملائكة كاف، بواسطة النفي، وذلك في قوله تعالى: ﴿...أَلَّنْ يَكْفِيكُمْ﴾.

حيث كان حرف النفي لن هو أبلغ من ف الاستقبال من لا، إشعارا بأنهم كانوا لقلتهم وكثرة عدوهم كالأسيين من النصر، وبلى في الآية لمالية إيجال لما بعد لن، يعني بلى يكفيهم الإمداد⁽⁴⁾.

3-المقطع الحجاجي الثالث:

حيث يضيف عز وجل قائلا: ﴿بَلَى ۗ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران، 125].

ويتمثل البعد الحجاجي لهذه الآية في حجة تقضي إلى نتيجة؛ والحجة هي تحلي المؤمنين بالصبر والتقوى وحضور المشركين في المعركة. أما النتيجة المتوقعة فتتمثل في الوصول إلى فكرة إمداده عز وجل لهم بالملائكة.

واحتوى هذا المقطع التخاطبي على آلية حجاجية واحدة هي:

-الشرط: وجاء هذا الأخير بالأداة (إن) في قوله تعالى: ﴿بَلَى ۗ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا...﴾، حيث أن بلى هنا تصديق للوعد، أي بلى يمددهم الله بالملائكة إن صبروا في المعركة واتقوا الله وأطاعوا أمره وآتوهم المشركين من ساعتهم⁽⁵⁾، وهنا

⁽⁴⁾ المرجع السابق، ص53.

⁽⁵⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص228.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

تكمّن جملة الشرط، أما جملة جواب الشرط فتتمثل في إمداده عز وجل لهم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين على السلاح ومدربين على القتال.

4- المقطع الحجاجي الرابع:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران، 126-127].

تتضح الصورة الحجاجية لهذه الآية في وجود حجة هي تبشير المؤمنين بالنصر لتطمئن قلوبهم، وتقضي هذه الحجة إلى نتيجتين هما معرفة أن النصر يختص به الله عز وجل، وأيضا هناك نتيجة أخرى تتبعها موجودة في الآية 127 وهي تمرير فكرة قطع دابر الكافرين وإهلاكهم وردهم بغيضهم. واحتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- القصر (الحصر): الذي جاء بالأداة : (ما...إلا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ وقد جاء هذا الأخير لتدعيم الحجة وتقويتها ليثبت أن الله ما جعل هذا الإمداد بالملائكة إلا بشارة لهم بالنصر ولتسكن بذلك قلوبهم فلا يخافوا من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وتكرر نفس العامل الحجاجي في قوله تعالى: ﴿...وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: وما النصر إلا من بعون الله العلي الكبير فليثقوا بنصره فهو غالب لا يُغلب يفعل ما تقتضي به الحكمة فلا يتوهموا أن النصر بكثرة العدد والعدد⁽⁶⁾.

(6) المرجع السابق، ص 228.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

وعليه يتبين لنا أن أسلوب القصر بهذا العامل (ما... إلا) والذي تكرر مرتين في الآية الكريمة، مناسب لحال المخاطبين الذين يريد الله عز وجل إقناعهم بمساندته إياهم في الغزوة، وإثبات عظمته عز وجل كون النصر لا يأتي إلا من عنده.

ب- الروابط الحجاجية: استعمل عدة روابط أبرزها لام التعليل والفاء.

- لام التعليل: في قوله تعالى: ﴿...وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ﴾ ، ووظيفة هذا

الأخير تكمن في الربط الحجاجي بين السبب والنتيجة. والسبب هنا يتمثل في الضمير (هاء) المتصل بالفعل (جعل) الذي يحيل إحالة قبلية إلى فكرة الإمداد بالملائكة. أما النتيجة فهي: اطمئنان قلوب المسلمين.

- الرابط الحجاجي الفاء يقابله إثبات مصير الكافرين بعد إلحاق الهلاك بهم. حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿...فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ أي يرجعوا خائبين لم يحصلوا على ما أملاوا⁽⁷⁾، فهنا عز وجل يتوعدهم بالهلاك و الخزي.

وبنفس الكيفية جاءت الحجة ونتيجتها وآلياتها مكررة في الآية [الأنفال، 10] مع زيادة آلية تقوية المعنى وتأكيده بواسطة (أن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

5-المقطع الحجاجي الخامس:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۗ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۗ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ﴾ [الأنفال، 1].

والحجة هنا هي اختلاف المؤمنين في تقسيم الأنفال وتفرقهم وتنازعهم، وهذه الحجة أعطت نتيجتين هما تمرير فكرة أن مسؤولية تقسيمها لله وللرسول ولا شأن

(7) ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسر القرآن العظيم، ص398.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

للمسلمين في تقسيمها، وأيضاً الوصول إلى فكرة الانشغال بتقوى الله وطاعته وإصلاح ذات البين.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية التالية:

أ-الأمر: وردت في الآية الكريمة الأفعال اللغوية (قل، اتقوا، أصلحوا، أطيعوا) ذلك انه عز وجل يخاطب نبيه ﷺ فيقول له: قل لهم (للمؤمنين) أن الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا ولا ينبغي أن يكون هنالك اعتراض لهم على حكم الله ورسوله ﷺ فعليكم أن ترضوا بحكمهما وتسلموا لأمرهما، وذلك داخل في قوله واتقوا الله بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه، وإصلاح ما بينهم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتوادد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتهم ويزول ما يحصل -بسبب التقاطع- من التخاصم والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق، والعفوا عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر الجامع لذلك قوله تعالى: ﴿...وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله فمن لم يطع الله ورسوله ﷺ ليس بمؤمن⁽⁸⁾.

وعليه يتبين لنا أن أفعال الأمر التي أصدرها الله عز وجل في هذه الآية (قل، اتقوا، أصلحوا، أطيعوا) تكتسب بعدا حجاجيا؛ إذ تضمنت حجة تقضي إلى نتيجة ضمنية هي: ترك المسؤولية تقسيم الأنفال لله ورسوله والانشغال بتقوى الله وإصلاح ذات البين.

ب- الشرط: وجاء بالأداة (إن) في قوله تعالى: ﴿... إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حيث أن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وأن هنا من شأنها تحقيق الشرط وإتمام

(8) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج10، ص366.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

القصد، فجملة الشرط هي قوله تعالى: ﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۗ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أما جملة جواب الشرط فتتمثل في قوله تعالى: ﴿... إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

6-المقطع الحجاجي السادس:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال، 2-3-4].

احتوى هذا المقطع على مجموعة من الحجج هي وجل القلوب عند ذكر الله، وأيضا زيادة الإيمان عند سماعهم تلاوة القرآن، وأيضا التوكل على الله، وكذا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات. وهذه الحجج أعطت نتائج عديدة هي الوصول إلى فكرة اكتساب صفة الإيمان الحقيقي، وأيضا تمرير فكرة الحصول على درجات عالية عند الله، وأيضا إدراك المغفرة والرزق الكريم.

وقد احتوى هذا المقطع التخاطبي على آليات حجاجية هي كالتالي:

أ- القصر: ب (إنما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ وتكمن القيمة

الحجاجية لأسلوب القصر بإنما في هذه الآية بالنظر إلى القيمة الواقعية لهذا التخصيص (تخصيص صفات المؤمنين حقا) عن طريق وجود مجموعة من الحجج هي كالتالي: "إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم... إذا خُوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه، ﴿... وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾ تصديقا وبقينا (...) ﴿... وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

يخافون سواء⁽⁹⁾ والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والصدقات. وتتساند هذه الحجج لتحقيق نفس النتيجة والمتمثلة في حصر صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم وأن جزائهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

ب- الشرط: جاء بالأداة (إذا) في قوله عز وجل: ﴿... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

والتي من شأنها تحقيق الشرط وإتمام القصد، حيث يشترط عز وجل عليهم أن ما يزيدهم إيماناً ويكسبهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزقا كريما هو التزامهم بتلك الصفات التي سبق وذكرناها.

ج- التقديم والتأخير: في قوله عز وجل: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أصل

الكلام: وينفقون شيئا مما رزقناهم، تم تقديم الجار والمجرور المتعلقان بالمفعول به المحذوف (شيئا) لبيان قيمة الشيء المنفق وأهمية الإنفاق.

7- المقطع الحجاجي السابع:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذِ
يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال، 5-6-7-8].

تضمن هذا المقطع حجتين هما كره المؤمنين الخروج للقتال ومجادلتهم الرسول ﷺ في ذلك، وأيضا تفضيل المؤمنين لقاء الطائفة التي لا سلاح لها وهي العير لأنها كانت محملة بتجارة قريش، بدل قتال العدو. أما النتيجة فهما الوصول إلى الفهم بأن جمع الله المؤمنين والكافرين من غير ميعاد جاء لأجل إعلاء كلمة المسلمين

(9) محمد بن يوسف الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج9، ص326.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

ونصرهم على عدوهم، وأيضا معرفة أن الله قدر لهم قتال العدو ليُظهر الدين الحق وهو الإسلام وليفرق بين الحق والباطل.

وذلك أنه عز وجل يقول: كما حدث واختلفتم فيما سبق في المغامر وتشاحنتم فيها فأنزعتها الله منكم، وجعلها إلى قسمة وقسم رسوله ﷺ فقسما على العدل والتسوية، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم. وكذلك كما كرهتم الخروج إلى قتال الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفيير الذين خرجوا لنصرة دينهم وإحراز عيهم- فكان عاقبة كراحتكم للقتال بأن قدره لكم، وجمع بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا وهدى، ونصرا وفتحا⁽¹⁰⁾.

واشتمل هذا المقطع على آليات حجاجية هي كالاتي:

أ- التوكيد: جاء هذا الأخير بالأداة (إن) في قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاٰرِهُونَ﴾ وغرضه تقوية المعنى والتأكيد على أن فريقا منهم كانوا كارهين للخروج للقتال نظرا لخوفهم من القتل أو لعدم استعدادهم للقتال.

ب- الشرط: وقد جاء بالأداة (أن) وذلك في قوله تعالى: ﴿... أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ حيث تتمثل جملة الشرط في كونه عز وجل قدر وجمع المؤمنين والمشركين على أرض المعركة، أما جملة جواب الشرط فتتمثل في أنه عز وجل أراد بهذا إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم بقتل المشركين وإهلاكهم يوم بدر.

ج- الروابط الحجاجية:

- لام التعليل: وذلك في قوله تعالى: ﴿... لَكَاٰرِهُونَ﴾ ربطت هذه الأخيرة بين سبب ونتيجة؛ السبب هو عدم استعداد فريق من المؤمنين للقتال وخوفهم من قتل المشركين لهم، والنتيجة هي كرههم الخروج لقتال العدو.

(10) ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص 820.

8-المقطع الحجاجي الثامن:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ

﴾[الأنفال،9]

تتمثل الحجة في استغاثة المؤمنين الله لنصرتهم على عدوهم. أما النتيجة المرتقبة فهي إدراك استجابة الله للمؤمنين بإمداده إياهم بألف من الملائكة متتابعين لنصرتهم.

وتضمن هذا المقطع على آليات حجاجية هي كالاتي:

أ- التوكيد: وجاء ب (أن) في قوله تعالى: ﴿...أَنِّي مُمِدُّكُمْ...﴾ أي أن الله استجاب دعائهم بأنه معينهم بألف من الملائكة متتابعين. قال المفسرون: ورد أن جبريل نزل بخمسائة وقاتل بها في يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسائة وقاتل بها في يسار الجيش، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت إلا في وقعة بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل⁽¹¹⁾.

ووجود التوكيد هو من باب الإقناع والتأكيد على انه عز وجل استجاب استغاثة المؤمنين له وعلى إثر هذه الاستجابة أمدهم بالملائكة لينصرهم على أعدائهم في هذه الغزوة.

ب-الروابط الحجاجية:

الرابط الحجاجي الفاء يقابله إثبات استجابة الله عز وجل لاستغاثة المؤمنين له، بإمدادهم بألف من الملائكة متتابعين.

9-المقطع الحجاجي التاسع:

(11) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص-ص495-496.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال، 11].

اشتمل هذا المقطع على حجتين هما إلباس حواس المؤمنين النعاس ليلا قبل المعركة ليشعروا بالأمان، وأيضا نزول الماء من السماء لطهارة المؤمنين وإذهاب وسوسة الشيطان عنهم وللربط على قلوبهم بالصبر والثقة بالنصر ولتثبيت أقدامهم على أرض المعركة. ذلك أنها كانت تسوخ في الرمل فتكبد⁽¹²⁾، أما النتيجة المتوقعة فتمثل في الإيمان بمساندة الله عز وجل المؤمنين لنصر دين الحق.

واحتوى هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة تمثلت في رابط حجاجي هو :

-لام التعليل: في قوله تبارك وتعالى: ﴿... لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...﴾ وقامت هذه الأخيرة بالربط بين السبب والنتيجة. حيث يكمن السبب في: إنزال الماء من السماء بينما تكمن النتيجة في: طهارة المؤمنين وإذهاب وسوسة الشيطان عنهم والربط على قلوبهم بالصبر والثقة بالنصر وكذا تثبيت أقدامهم على أرض المعركة.

10-المقطع الحجاجي العاشر:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَيْ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال، 12].

الحجة هي وحي الله إلى الملائكة بأنه معهم في هذه الغزوة، وهذه الحجة أعطت نتيجتين هما معرفة تثبيت الملائكة للمؤمنين وتعذيبهم الكفار بأمر من الله، وأيضا تشكيل مفهوم مساندة الله المؤمنين لنصرتهم وإلقائه الرعب في قلوب الكفار.

وقد اشتمل هذا المقطع على آليات حجاجية هي كالتالي:

(12) ينظر: يوسف محمد رحمة الشامسي، تفسير القرآن العظيم لعز الدين عبد العزيز السلام السلمي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة دراسة وتحقيقا، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، مج1، 1998م، ص-ص848-849.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

أ- التوكيد: ب(أن) في قوله تعالى: ﴿...أَتِي مَعَكُمْ...﴾ غرضه إقناع المخاطبين (الملائكة) بكونه معهم ومعينهم ولذا فليفعلوا ما أمروا به؛ من تثبيت للمؤمنين وتعذيب للكافرين.

ب- الأمر: في قوله تعالى: ﴿... فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ .

إذ طلب عز وجل من الملائكة أن يثبتوا المؤمنين بثباتهم وقيل بالبشرى، وكان الملك في صورة إنسان يقول: سمعت الكفار يقولون لو حملوا علينا هربنا، ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿... فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي جلدها بالسياط فتكفي عن الجراح وقيل فوق بمعنى على، ﴿... وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: الأيدي والأرجل⁽¹³⁾.

وعليه يتبين لنا أن أفعال الأمر التي أصدرها الله عز وجل (ثبتوا، اضرَبوا، اضرَبوا) تكتسب بعدا حجاجيا، إذ تضمنت حجة تقضي إلى نتيجة ضمنية هي مساندة الله عز وجل للمؤمنين ونصرتهم على الكافرين.

11- المقطع التخاطبي الحادي عشر:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذُلُّكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال، 13-14].

الحجة هي الكافرين المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما حتمية غضب الله عليهم، وأيضا الوصول إلى فكرة الحصول على العقاب الشديد وأن مصيرهم جهنم وبئس المصير.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية التالية:

(13) ينظر: المرجع السابق، ص-ص 849-850.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

أ-التوكيد: يتبين لنا أن موقفه تبارك وتعالى جاء مؤكدا ب (أن) في موضعين، حيث ربط هذا التوكيد بين مقدمة ونتيجة:

-أنهم شاقوا الله ورسوله ﷺ (مقدمة): "أي خالفوهما فساروا في شق وتركوا الشرع والإيمان به في شق" (14).

-أن الله شديد العقاب لهؤلاء الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ (النتيجة).

إذن إن المقدمة التي جاءت مؤكدة لاشك أنها ستقضي إلى نتيجة مؤكدة أيضا، وهذا كله من باب الإقناع، إقناع المخاطبين بكونه عز وجل سيعاقب أولئك الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ عقابا شديدا.

ب- الأمر: في قوله تعالى: ﴿... ذُلُّكُمْ فَذُوقُوهُ﴾، "أي يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا من ضرب فوق الأعناق منكم، وضرب كل بنان، بأيدي أوليائي المؤمنين، فذوقوه عاجلا، واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار" (15).

وعليه يتبين لنا أن الأمر (فذوقوه) الذي أصدره الله عز وجل في هذه الآية يكتسب بعدا حجاجيا، إذ تضمن حجة تقضي إلى نتيجة هي: مصير الكافرين الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ.

12- المقطع الحجاجي الثاني عشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال،

[15].

(14) ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص826.

(15) جعفر محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، مج:4، ص18.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

الحجة هنا هي لقاء المؤمنين بالكافرين في القتال، أما نتائجها المنتظرة فتتمثل في تحريضهم على الثبات لقتالهم وعدم التولي عنهم.

واشتمل هذا المقطع على آيات حجاجية هي كآلاتي:

أ- الشرط: بالأداة (إذا) في قوله تعالى: ﴿... إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والتي من شأنها تحقيق الشرط وإتمام القصد. فتكون جملة الشرط هنا هي قوله تعالى ﴿... إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وجملة جواب الشرط تتمثل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾؛ حيث يشترط الله عز وجل عليهم أنهم إذا ما التقوا بالكفار يجب عليهم أن يثبتوا لقتالهم.

ب- النهي: في قوله تارك وتعالى: ﴿... فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾، أي يقصد عز وجل: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم الذين كفروا في القتال متزاحفا بعضهم إلى بعض فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم وعليهم" (16).

وعليه نلاحظ أن الفعل اللغوي والمتمثل في النهي هنا (لا تولوهم) فيه توجيه للمخاطبين (المؤمنين) إلى سلوك معين بنصحهم وإقناعهم بعدم التولي عن قتل الكفار في المعركة.

إن النتيجة التي يريد الله عز وجل الوصول إليها هي: إقناعهم بالثبات في المعركة كي لا ينهزموا.

ومما سبق يتبين لنا أن نوع الحجاج هنا هو حجاج منطقي نظرا لارتباط النتيجة (هي الهزيمة) بالسبب المنطقي (تولي المسلمين عن قتال الكفار في المعركة).

13- المقطع الحجاجي الثالث عشر:

(16) المرجع السابق، ص-ص 18-19.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال، 16].

تتمثل الحجة هنا في المؤمنين الفارين من الزحف من غير عذر، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما إدراك غضب الله عليهم، وأيضا الوصول إلى الفهم بأن مصيرهم جهنم.

وقد تضمن هذا المقطع آية حجاجية واحدة هي:

- التوكيد: الذي جاء بالأداة (قد) في قوله تعالى: ﴿... قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ومعنى الآية ككل: من يولي الكافرين يوم اللقاء ظهره منهزما - متحرفا لقتال، أي في حالة توجه إلى قتال طائفة أخرى، أو بالفر للكر بأن يخيل إلى عدوه أنه منهزم ليغره مكيدة وهو من باب "الحرب خدعة"، ﴿... أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ...﴾، أي منظما إلى جماعة المسلمين يستتجدهم - رجع بسخط عظيم من الله مقره ومسكنه الذي يأوي إليه نار جهنم⁽¹⁷⁾.

وهذا يظل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، ولهذا نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد⁽¹⁸⁾، مستعملا أداة التوكيد (قد) ليؤكد مصير هؤلاء (الفارين دون عذر) ومأواهم.

14- المقطع الحجاجي الرابع عشر:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۖ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال، 17-18].

(17) محمد علي الصابوني، صفوة التقاسير، ص 497.

(18) عبد الرحمان ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج 9، ص 360.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

الحجة هنا هي تدعيم المؤمنين في الغزوة بالرمي والقتل بواسطة الملائكة، أما نتيجتها المتوقعة فتتمثل في تمرير فكرة البلاء الحسن للمؤمنين وانتصارهم على أعدائهم في الغزوة.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية التالية:

أ-الإعراض عن قضية قيام المؤمنين بالقتل والرمي بواسطة النفي في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾. يقول محمد علي الصابوني مفسرا الآية الكريمة: "...أي فلم تقتلوهم أيها المسلمون ببدر بقوتكم وقدرتكم (...). وما رميت أنت يا محمد أعين القوم بقبضة من تراب؛ لأن كفا من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير"⁽¹⁹⁾.

وعقب هذا الاعتراض استدراك.

ب-الروابط الحجاجية:

-الاستدراك: بالأداة (لكن) في قوله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۗ﴾، وجاءت هنا استدراكا على ما يقتضيه هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة أن الله قتلهم بنصره المؤمنين وتقويته لهم، وليست قوتهم هي التي مكنتهم من ذلك.

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ۗ﴾. وهنا نلاحظ وجود نفس الرابط الحجاجي، ويعني ما يقوله عز وجل: ما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت الحصباء - لما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفا من حصر عليه تراب فرمى بها وجوه القوم وقال شأهت الوجوه فانهزموا- ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ۗ﴾ بالرعب في قلوبهم فانهزموا⁽²⁰⁾، وقوله عز وجل هنا استدراك على ما يقتضيه

(19) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص497.

(20) ينظر: محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ص-ص339-340.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

هذا الحكم من حقيقة ثابتة وهي "ليس في وسع أي أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عينا إلا ويصيبها منه شيء" (21).
وعليه يتبين لنا أن الرابط الحجاجي (لكن) هنا يقابله إثبات الدعم الإلهي في الغزوة.

ج- التوكيد: وذلك في قوله تعالى: ﴿ نَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾، وجاء هذا التأكيد بالأداة (أن) لغرض إقناع المخاطبين بأن ذلكم البلاء أو ذلكم النصر إنما قد جاء لإضعاف الكافرين (22) وإعلاء كلمة المسلمين. 1.
15- المقطع الحجاجي الخامس عشر:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال، 19].
الحجة هي كثرة أعوان وأنصار الكافرين لن تدفع عنهم عذاب الدنيا، أما النتيجة المرتقبة فتمثل في إدراك دعم الله المؤمنين لنصرتهم على الكافرين.
واحتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية التالية:

أ-الإعراض عن قضية دفع أعوان الكافرين العذاب عنهم بواسطة النفي في قوله تعالى: ﴿... وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي لن تدفع عنهم جماعتهم التي يستتجدون بها شيئاً من عذاب الدنيا مهما كثر أعوانهم وأنصارهم. (23).

ب- الشرط: بالأداة (لو) حيث تكون جملة الشرط هي أن أنصار الكافرين لن يدفعوا عنهم عذاب الدنيا، وجملة جواب الشرط هي حتى ولو كان هؤلاء كثيري العدد.

(21) المرجع نفسه، ص340.

(22) يوسف محمد رحمة الشامسي، تفسير القرآن العظيم، ص854.

(23) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 9، ص- ص497-498.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ج- التوكيد: ب (أن) في قوله تعالى: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وجاء التوكيد هنا لتأييد فكرة أنه عز وجل مع المؤمنين بالعون والتأييد؛ لنصر دين الحق وإذلال الكافرين.

16- المقطع الحجاجي السادس عشر:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ ۗ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال، 42].

الحجة هي استحالة تواعد المؤمنين والكافرين على هذا الوصف والحال، والسبب شرحه عبد الرحمان بن ناصر السعدي من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة في كتابه الموسوم بـ: "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"، حيث يقول: "﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ ۗ﴾ أي: انتم بـعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بـعدوته أي جانبه البعيد من المدينة فقد جمعكم واد واحد، ﴿... وَالرَّكْبُ﴾ الذي خرجتم لطلبه ﴿... أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ﴾ مما يلي ساحل البحر ﴿... وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ على هذا الوصف وبهذه الحال ﴿... لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ ۗ﴾ أي: لا بد من تقدم أو تأخر، أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم، أو يصدفكم عن ميعادكم⁽²⁴⁾، والنتيجة المرتقبة لهذه الحجة تتمثل في الوصول إلى فكرة أن الله عز وجل جمع المؤمنين والكافرين على هذا الوصف والحال ليقضي أمرا كان مقدرًا هو إعزاز الإسلام وإذلال الشرك.

وقد اشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

(24) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج 10، ص 366.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

أ-التوكيد: وجاء هذا الأخير ب (اللام) في قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۗ﴾، ليؤكد عز وجل عدم إمكانية اجتماع المؤمنين والكافرين على هذه الحال وبهذا الوصف.

ب-الروابط الحجاجية: استعمل عدة روابط أبرزها:

-الاستدراك: الذي جاء بالرباط الحجاجي (لكن) في قوله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، وجاء كما سبق وذكرنا للاستدراك، أي أن الله جمعهم على هذه الحال ليقضي أمرا كان مفعولا في الأزل لابد من وقوعه، ليكون حجة وبينة للمعاندة.

-لام التعليل: في قوله تعالى: ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ﴾ وكما ذكرنا سابقا فإن وظيفة لام التعليل هي الربط الحجاجي بين السبب والنتيجة. السبب هنا هو: جمع الله لهم على ذلك الوصف والحال ليعز الإسلام ويذل الشرك، والنتيجة هي: ليختاروا الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه فلا يبقى لهم عند الله عذر، ولكي يزداد المؤمن بصيرة ويقينا بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب⁽²⁵⁾.

17- المقطع الحجاجي السابع عشر:

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكَ قَلِيلًا ۗ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنْ نَّارْجِعَ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَاقُتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال، 43-44].

احتوى هذا المقطع على حجتين هما تقليل الله المشركين في منام الرسول ﷺ قبل المعركة، وأيضا تقليل الله عدد المشركين في أعين المسلمين على أرض

(25) المرجع السابق، ص366.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

المعركة وتقليله عدد المسلمين في أعين الكفار كذلك، وأعطت هاتين الحجتين مجموعة من النتائج تتمثل في إدراك تثبيت الله المؤمنين لكي لا يتنازعوا ويفشلوا قبل المعركة، وأيضا الوصول إلى فكرة تخلص الله المسلمين من الجبن والهوان على أرض المعركة، وإبقائه للكفار كي لا يهربوا، وأيضا إبراز إعزاز الله الإسلام وأهله وإذلاله للشرك وأهله.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- التوكيد: الذي جاء بـ (اللام) في قوله تعالى: ﴿... لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ .

يقول أبو الفداء بن كثير في كتابه: "تفسير القرآن العظيم" مفسرا الآية الكريمة: ذلك أن الله أرى الرسول ﷺ في منامه قبل المعركة أن عدد الكفار قليل، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتا لهم، وقوله ﴿... وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ أي لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم⁽²⁶⁾.

وعليه يتبين لنا أن قوله عز وجل جاء هنا مؤيدا بالتوكيد لغرض الإقناع والتأييد، حيث جاء ردا على سبب رؤية الرسول ﷺ الكفار بعدد قلل في منامه.

ب- الروابط الحجاجية: استعمل عدة روابط أبرزها:

- الاستدراك: بالرابط الحجاجي (لكن) في قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ﴾

لما جعل عددهم قليلا في منام الرسول ﷺ لأنه عليهم بما تخبئه الضمائر وتتطوي عليه لأحشاء، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور⁽²⁷⁾.

إذن (لكن) هنا هي رابط حجاجي كما سبق وذكرنا يقابلها إثبات علم الله بما تخفيه صدور المؤمنين.

⁽²⁶⁾ ابن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم، ص845.

⁽²⁷⁾ المرجع نفسه، ص845.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

-لام التعليل: وذلك في قوله تعالى: ﴿... لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ﴾
ربطت بين السبب المتمثل في تقليل الله المشركين في أعين المؤمنين لما التقوا ببدر
لكي لا يجبنوا، وتقليله عدد المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، أما النتيجة
فهي: إعزاز الله الإسلام وأهله وإذلاله للشرك وأهله⁽²⁸⁾.

18- المقطع الحجاجي الثامن عشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿45﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۗ وَاصْبِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال، 45-46].

الحجة هنا هي ثبات المؤمنين وصبرهم على قتال العدو وطاعتهم الله عز وجل
ورسوله ﷺ. أما النتيجة المنتظرة فتتمثل في الوصول إلى فكرة أن النصر على العدو
يتم بعون الله لهم.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية التالية:

أ- الشرط: بالأداة (إذا) في قوله تعالى: ﴿... إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا﴾ وجملة الشرط هنا هي: لقاء المؤمنين بفئة الكافرين، وجملة جواب الشرط
تتمثل في أمر الله لهم بالثبات على قتالهم مع ملازمة ذكر الله عز وجل ليستمطروا
نصره وعونه ويفوزوا بالظفر عليهم⁽²⁹⁾.

ب- الأمر: وردت الأفعال اللغوية (اثبتوا، اذكروا، أطيعوا، اصبروا) في الآية
الكريمة ذلك أن الله عز وجل يأمر المؤمنين بالثبات على القتال إذا ما التقوا جماعة
كافرة وأن يذكروا الله كثيرا، أي يدعوهم بأن ينصرهم، ليكونوا على رجاء الفلاح⁽³⁰⁾.

(28) محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ج10، ص364.

(29) محمد علي الصابوني، صفوة التقاسير، ص508.

(30) محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج10، ص364.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

وبأن يطيعوا الله ورسوله ﷺ في جميع أقوالهم وأفعالهم ولا يخالفوا أمرهما في شيء ويصبروا على شدائد الحرب وأهوالها، فإنه معهم بالنصر والعون⁽³¹⁾.

وعليه: يتبين لنا أن أفعال الأمر في هذه الآية التي أصدرها الله عز وجل في هذه الآية تكتسب بعدا حجاجيا، إذ تضمنت حجة تقضي إلى نتيجة هي: إتباع المؤمنين أوامر الله ورسوله ﷺ وصبرهم وثباتهم على قتال العدو، ليكون عز وجل ناصرا ومعينا لهم في هذه الغزوة، وليكونوا من المفلحين.

ج- النهي: في قوله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَا تَنَازَعُوا﴾ وهنا ينهاهم عز وجل على الاختلاف فيما بينهم لكي لا يضعفوا ويجبنوا عن لقاء عدوهم، ولكي لا تذهب قوتهم وبأسهم ويدخلهم الوهن والخور⁽³²⁾.

ونحن نرى أن النهي هنا (لا تنازعوا) فيه توجيه للمخاطبين (المؤمنين) إلى سلوك معين بنصحهم وإرشادهم، وإقناعهم بعدم التنازع لما لهذا الأخير من مسببات تمنعهم من الظفر والنصر على عدوهم.

19- المقطع الحجاجي التاسع عشر:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال، 47].

والحجة هي خروج جماعة من القوم (المشركين) لصد سبيل الله على من أراد سلوكه، لكي يراهم الناس ويفخروا لهم، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في تمرير فكرة علم الله بأفعال هؤلاء الذين يخرجون للصد عن سبيله، وسخطه عليهم وتوعدهم بالعذاب الشديد.

وقد اشتمل هذا المقطع على آية حجاجية واحدة:

⁽³¹⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التقاسير، ص508.

⁽³²⁾ المرجع السابق، ص508.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

- النهي: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾، فالفعل اللغوي المتمثل في النهي (لا تكونوا) فيه توجيه للمخاطبين (المؤمنين) إلى سلوك معين، بنصحهم وإقناعهم بعدم التشبه بأولئك الذين خرجوا من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم، والمقصود الأعظم: أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد سلوكه، ولذلك أخبرهم بمقاصدهم وحذرهم من أن يتشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، أي يقول تبارك وتعالى في هذه الآية: ليكن قصدكم في خروجكم وجه الله تعالى دين الله والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم، الموصل إلى جنات النعيم⁽³³⁾.

إذن: النتيجة التي يريد عز وجل الوصول إليها هي: إقناع المؤمنين بعدم إتباع هذه الفئة من الناس نظرا للوعيد الذي يتوعدهم إياه.

20- المقطع الحجاجي العشرون:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥١﴾﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٢﴾ [الأنفال، 50-51].

والحجة هي عذاب الملائكة للمشركين بأمر من الله عز وجل، أما النتيجة المتوقعة فتتمثل في معرفة أن حصول المشركين على ذلك العذاب كان نظيرا لما كسبوه من قبائح أعمالهم.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية التالية:

أ- الأمر: في قوله تعالى: ﴿... وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

نجد فرج جمال الدين عبد الرحمان البغدادي في كتابه: "زاد المسير في علم التفسير" يفسر هذه الآية الكريمة فيقول: المراد بالملائكة هنا؛ الملائكة الذين قاتلو يوم

⁽³³⁾ عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج 10، ص 367

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

بدر، والمراد بقوله ﴿... يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا ﴿... وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي أن الضرب لهم في الدنيا، فإذا وردوا يوم القيامة إلى النار قال خزنتها: ذوقوا عذاب الحريق، ذلك بما قدمت أيديكم.

وعليه يتبين لنا أن فعل الأمر (فذوقوه) الذي أصدره عز وجل في هذه الآية، يكتسب بعدا حجاجيا، ذلك أنه تضمن حجة تقضي إلى نتيجة هي العذاب الشديد في الدنيا و الآخرة للمشركين نتيجة أفعالهم.

ب- التوكيد: جاء بالأداة (أن) في قوله تبارك وتعالى: ﴿... ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، أي ذلك بما كسبتم من قبائح أعمالكم وأن الله لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر، وإن كان كفرهم بقضائه، لأنه مالك، فله التصرف في ملكه كما يشاء، فيستحيل نسبة الظلم إليه (34).

21- المقطع الحجاجي الواحد والعشرون:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۗ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال، 59].

والحجة هي ظن وحسبان الكافرين الذين نجوا يوم بدر من القتل أنهم اعجزوا ربهم فل يتمكن منهم، أما النتيجة فتتمثل في الوصول إلى فكرة قدرة الله على الانتقام منهم متى ما شاء.

وقد تضمن هذا المقطع على آلية حجاجة واحدة هي:

-النهى: جاء هذا الأخير ب (لا) الناهية، للنهي عن الحسبان والظن في هذه الآية حيث يقول تبارك وتعالى: "لا يظن هؤلاء الكفار الذين أفلتوا يوم بدر من القتل أنهم فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم في قبضتنا وتحت مشيئتنا وقهرنا ﴿... إِنَّهُمْ لَا

(34) ينظر: فرج جمال الدين عبد الرحمان البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ص- ص557- 558.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

يُعْجِزُونَ»؛ كلام مستأنف أي أنهم لا يعجزون ربهم، بل هو قادر على الانتقام منهم في لحظة، لا يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء⁽³⁵⁾.

ونحن نرى أن فعل النهي (لا يحسبن) في هذه الآية جاء لتوجيه المخاطبين (المشركين) إلى سلوك معين بإقناعهم بأن الله قادر عليهم لا يعجزه شيء ولا أحد لا في الأرض ولا في السماء.

22- المقطع الحجاجي الثاني والعشرون:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ ۗ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿67﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿68﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿69﴾ [الأنفال، 67-68-69].

والحجة هي إبقاء النبي ﷺ أسرى المشركين لأجل الفداء الذي يأتي منهم، وأعطت هذه الحجة مجموعة من النتائج تتمثل في تمرير فكرة عتاب الله المؤمنين على إبقائهم للأسرى أخذ الفداء، وأيضا تشكيل مفهوم ضرورة قتل هؤلاء الأسرى لإبطال شرهم فمدام لهم شرٌ وصوله فالأوفى أن لا يؤسروا، وأيضا الوصول إلى فكرة إعزاز دين الله، ونصر أوليائه، وكذا معرفة رفع الله العذاب على المؤمنين وإحلال الغنائم لهم.

نلتمس في هذه الآية معاتبة من الله لرسوله ﷺ والمؤمنين يوم بدر إذ أسروا المشركين، وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال قتلهم واستئصالهم، فقال تعالى: ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ ۗ﴾، أي ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى

(35) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 10، ص 511.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقترضة لإبادتهم، إبطال شرهم، فإدام لهم شرّ وصوله، فالأوفى أن لا يؤسروا. فإذا أثنوا، وبطل شرهم، واطمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم، وإبقائهم.

يقول تعالى: تريدون بأخذكم الفداء وإبقائهم ﴿... عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم ﴿... وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ﴾ بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى ذلك ﴿... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: كامل القوة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل ولكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض⁽³⁶⁾.

واشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- الشرط: بالأداة (لولا) في قوله تعالى: ﴿... لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ حيث تكون جملة الشرط هي: (أنه لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر، وأنه قد احل لهم الغنائم وان الله رفع عنهم العذاب)، أما جملة جواب الشرط فهي: (لمسهم فيما أخذوا عذاب عظيم)، وجاء في الحديث: لو نزل عذاب يوم بدر ما نجا منه إلا عمر⁽³⁷⁾.

ب- التوكيد: الذي جاء بـ (اللام) في قوله تعالى: ﴿... لَمَسَّكُمْ﴾ وجاء هذا التوكيد بغية تأييد قوله عز وجل وإقناع المخاطبين والتأكيد على مصيرهم (الذي هو العذاب العظيم) لو لم يحل لهم هذه الغنائم ويعفو عنهم.

ج- الأمر: في قوله تعالى: ﴿... فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ إذ يطلب عز وجل من معشر المجاهدين أن يأكلوا ما أصابوه من أعدائهم من

⁽³⁶⁾ ينظر: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص - ص 371-

. 372

⁽³⁷⁾ المرجع نفسه، ص 372.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

الغنائم حال كونه حلالاً أي محلاً لهم ﴿... طَيِّبًا ۖ﴾ أي من أطيب المكاسب لأنه ثمرة جهادهم، ثم يأمرهم عز وجل بأن يتقوه أي يخافوه في مخالفة أمره ونهيه، ثم يخبرهم بأنه مبالغ في المغفرة لمن تاب، رحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم⁽³⁸⁾.

23- المقطع الحجاجي الثالث والعشرون:

﴿وَأَنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[الأنفال، 71].

والحجة هي خيانة أسر المشركين لله والرسول ﷺ وذلك بإظهار إسلامهم قم العودة إلى الكفر بعد إطلاق سراحهم، أما النتيجة المرتقبة فهي إدراك انتقام الله منهم بتمكين المؤمنين من أسرهم وقتلهم.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- التوكيد: الذي جاء ب (قد) في قوله تعالى: ﴿... فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: إن كان هؤلاء الأسرى يريدون خيانة الرسول ﷺ بما أظهروا له من الأقوال ودعوى الإيمان؛ فقد خانوا الله من قبل بدر بالكفر به⁽³⁹⁾.

ب- الروابط الحجاجية:

- الرابط الحجاجي (الفاء): في قوله تعالى: ﴿... فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ﴾ يقابله إثبات مصير الأسر الذين خانوا الله ورسوله ﷺ، حيث كانت نتيجة خيانتهم هذه هي تقوية الله عز وجل للنبي ﷺ والمؤمنين نصرتهم عليهم وجعلهم يتمكنون من رقابهم⁽⁴⁰⁾.

ثانياً: غزوة أُحُد

(38) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج10، ص515.

(39) ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص856.

(40) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج10، ص516.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

وردت غزوة أحد في سورة آل عمران، لذلك سنقسم هذه السورة إلى مقاطع حجاجي على النحو الآتي:

1-المقطع الحجاجي الأول:

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران، 121-122].

يتمثل البعد الحجاجي لهذه الآية في حجة تقضي إلى نتيجة؛ والحجة هي محاولة تراجع طائفتين من المسلمين عن القتال وهما (بنو سلمة) و(بنو حارثة) بعد توزيع الرسول أماكن القتال للمسلمين، أما النتيجة المنتظرة فتتمثل في الوصول إلى فكرة عون الله المؤمنين وتوليه إياهم بالنصر.

وقد اشتمل هذا المقطع على آية حجاجية واحدة هي:

الأمر: تمثل فعل الأمر (فليتوكل)؛ حيث يأمر الله المؤمنين بأن يخلصوا التوكل عليه في قوله : ﴿... فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، تعبداً لله تعالى، أي أنه يخاطبهم بأن لا يفشلوا حيث يوحي إليهم أن أنفسهم حدثتهم بأن يجبنوا ويهربوا من القتال ويرجعوا مع زعيمهم خوفاً من لقاء العدو⁽¹⁾.

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿... وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي أنه عز وجل عصمهم وحفظهم فساروا مع الرسول وثبتهم.

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، م، 1، ج 1، 2002م، ص 243.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

وعليه يتبين لنا أن فعل الأمر الذي أصدره الله عز وجل (فليتوكل)، اكتسب بعدا حجاجيا إذ تضمنت حجة تقضي إلى نتيجة هي عون الله لهم، والتوكل عليه لكي تسير الأمور لأنه هو الذي يلهم أسباب الرشاد ويسخر أيضا من يرشدك إلى الصواب والأسباب الصالحة والأوقات المناسبة لقضاء حاجاته ومصالحه (2).

ونلاحظ أن الحجج والنتائج الواردة في الآيات (من 123 إلى 127) ، وكذا الآليات الحجاجية المرتبطة بها قد سبق لنا شرحها في غزوة بدر (3).

2- المقطع الحجاجي الثاني:

﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، 139].

الحجة هنا هي الهوان وحزن المؤمنين عند خسارتهم في المعركة، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في إدراك مواساة الله لهم، وأن الإيمان الذي في قلوبهم هو الذي يصلهم لربهم ويعلي من مرتبتهم عند الله.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- النهي: حيث ينهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في قوله ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا﴾، لأن الهوان والحزن تطرق إلى قلوبهم بعد هزيمتهم في معركة أحد .

فيقول لهم لا تضعفوا عن الجهاد في سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه، ولا تحزنوا على من يقتل منكم وأنت بتأييد الله وإيمانكم وقوة الحق الذي تدافعون عنه (4)، ومنزلة

(2) المرجع نفسه، ص243.

(3) يرجى النظر في هذه المذكرة ، ص-ص 81-87.

(4) لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1999م،

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

هذا النهي الذي صدر به هو مواساتهم لما أصابهم فإن كانوا قد انهزموا فقد ظفروا بالمعارك الأخرى فعليهم أن لا يضعفوا ولا يحزنوا لأن الله معهم وليس مع المشركين.

ب- الشرط: جاء بالأداة (إن) حيث يشترط الله عليهم قصد غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله أنهم مؤمنون، وجيء ب(إن) الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها إتماما لهذا القصد.

3- المقطع الحجاجي الثالث:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿141﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران، 140-141].

والحجة هي تماثل المصائب والأحزان بين الأقسام، وتداول المحن بين الناس وقد أعطت هذه الحجة نتائج عديدة هي الوصول إلى فكرة اختبار المؤمنين وجعلهم دليلا شاهدا بين جميع الأقسام على بشرية الأفراد المسلمين وعدالة الله بين المجتمعات البشرية، وأيضا (في الآية 141) تشكيل مفهوم تمحيص (غربلة) المؤمنين من حيث قوة الإيمان والصبر، وأيضا تمرير فكرة محق الكافرين (القضاء عليهم).

وتضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

أ - التوكيد: جاء هذا الأخير بالأداة (قد) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ﴾؛ أي أنه يؤكد لهم أن ما مسهم من القتل والجراح في غزوة أحد قد مس أعدائهم عندما نصر الله المؤمنين في غزوة بدر⁽⁵⁾.

وغيرض التوكيد هنا إقناعهم أن الله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء وأن هذه الأيام تتداول بين الناس يوم تُسَاء ويوم تسر⁽⁶⁾.

ب- الروابط الحجاجية:

- لام التعليل: في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حيث قامت بالربط الحجاجي بين السبب والنتيجة ويتمثل السبب في اختبار الله للمؤمنين وذلك بالخسارة في المعركة ، وبينما تكمن النتيجة في تمحيصه عز وجل لهؤلاء المؤمنين لتكريم بعضهم بنعمة الشهادة في سبيله عز وجل⁽⁷⁾.

4- المقطع الحجاجي الرابع:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران، 142].

والحجة هنا هي اعتقاد المسلمين بأن دخول الجنة يتم بأداء العبادات دون تمحيص واختبار، أما النتيجة المنتظرة فتتمثل في معرفة أن دخول الجنة يكون بالتمحيص والاختبار حتى يعلم الله الصابرين والمجاهدين حقا من بين المسلمين،

⁽⁵⁾ عزالدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الملك بن

عبد الله بن دهيش، العزيفية، ج1، ط1، 2008م ، ص297.

⁽⁶⁾ جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص231.

⁽⁷⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص232.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

وهذا يتوافق مع معنى الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة، 155].

وقد اشتمل هذا المقطع على آية حجاجية واحدة هي:

- التوكيد: ورد ب (اللام) في قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾، غرضها التأكيد على أن الله عز وجل يعلم المجاهدين والصابرين في سبيله، وفيها إقناع للمؤمنين ودعوتهم للثبات في الجهاد والصبر عند الابتلاء لكي يدخلوا الجنة.

5- المقطع الحجاجي الخامس:

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران، 143].

والحجة هنا هي تمني المؤمنين الشهادة في القتال ضد الكفار، أما النتيجة المرتقبة فتنتمثل في الوصول إلى فكرة تحقيق الله لهم أمانهم بالشهادة في سبيله عز وجل.

وقد تضمن المقطع الحجاجي آية حجاجية واحدة هي:

- التوكيد: جاء هذا الأخير ب (قد) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾، وغرضه هنا تأييد فكرة أن المؤمنين كانوا يتمنون لقاء العدو بغية الحصول على شرف الجهاد والاستشهاد (الذي ناله إخوانهم في معركة بدر) (8)، أي من قبل أن يلقوا الموت ويرووه أمام أعينهم في غزوة أحد فقد حصل ما طلبوه وتمنوه لذا طلب منهم عز وجل أن يقاتلوا و يصبروا(9).

(8) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص 246.

(9) الخطيب الشربيني، السراج المنير، ص 251.

6- المقطع الحجاجي السادس:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران، 144].

تتمثل الحجة في انقلاب المؤمنين على دين الله من بعد سماع خبر موت الرسول محمد ﷺ، وتكمن نتيجتها المتوقعة في إدراك أن محمد رسول مثل باقي الرسل مهمتهم تبليغ رسالة ربهم وتنفيذ أوامره وليسوا بمخلدين ومنهم من قتل ومنهم من مات، وأيضا إبراز أن ارتداد المؤمنين بعد شيوخ خبر موت الرسول لن يضر الله شيئا بل يضرهم.

وقد تضمن المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

أ- القصر: الذي جاء ب (ما...إلا) في قوله تعالى: ﴿... وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فقد خصص الله شيئا بشيء فالمخصوص (محمد) والمخصوص فيه (رسول)، فهذا الأسلوب يفيد التوكيد ويجيز الكلام ويمكنه من الذهن وينفي عن الفكر كل إنكار وشك، حيث يؤيد فكرة أن الرسول محمد - ﷺ - مضت من قبله الرسل مهمتهم واحدة وهي تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره (10).

ب- الاستفهام: ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ أي: "أفإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفرا بعد إيمانكم؟" (11). إذن فالاستفهام كما هو واضح يلعب دورا واضح في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية نظرا لما يحدثه من جلب المتقي إلى فعل الاستدلال بحيث انه يشركه بحكم قوته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب، ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة.

(10) المرجع السابق، ص251.

(11) محمد علي الصابوني، صفة التفسير، ص232.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ج- الإعراض على قضية أن المنقلبين من المؤمنين سيضرون الله ، بواسطة أداة النفي (لن) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي لن يضرروا الله وإنما يضررون أنفسهم بتعريضها إلى سخط الله وعذابه (12).

7- المقطع الحجاجي السابع:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ۗ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۗ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران 145].

والحجة هي اعتقاد الناس بأن القتال في المعارك هو السبب الوحيد للموت والفناء، وتقضي هذه الحجة إلى نتيجتين هما الإيمان بأن الموت حق ومكتوب في اللوح المحفوظ وقضاء وقدر قد يكون بالقتال أو بغيره، وأيضا الوصول إلى فكرة جزاء الله الشاكرين الذين يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه في الدنيا والآخرة.

وقد احتوى هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة هي:

- القصر: الذي جاء بالأداة (ما...إلا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي ما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحين إذن يموت (13).

(12) جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص232.

(13) المرجع السابق، ص260.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

وعليه يتبين لنا أن أسلوب القصر بالعامل (ما...إلا) في هذه الآية مناسب لحال المخاطبين الذين يريد الله عز وجل إقناعهم الموت حق ومكتوب وقدر وهو بيد الله .

8- المقطع الحجاجي الثامن:

﴿وَكَايَيْنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران، 146-147-148].

والحجة هنا هي وجود أنبياء سبقوا وقاتل معهم ربايون وعباد صالحون لإعلاء كلمة الله، والنتيجة المرتقبة تتمثل في الوصول إلى الفهم بأن مقاساة المؤمنين الشدائد والصبر على الأهوال وعدم ضعف الهمم والضعف أمام العدو أدى إلى نصر الله لهم، وأيضا معرفة أن الحصول على الثواب في الدنيا والآخرة.

وقد اشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ. الروابط الحجاجية:

-الرابط الحجاجي الفاء في قوله تعالى: ﴿... فَمَا وَهَنُوا...﴾ يقابله إثبات أنه وجدت جموع كبيرة قاتلت مع أنبياء وهم الأتباع الصالحون فلم يضعفوا ولم يهنوا لا نفسيا ولا قلبيا ولا إيمانا من قتل وجراح ، وما عجزوا جسديا عن مقاتلة الأعداء بعد ذلك ، ولا خضعوا لعدوهم إنما صبروا على ما أصابهم (14).

(14) الخطيب الشرييني، السراج المنير، ص255.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

ب - القصر: الذي جاء ب (ما ...إلا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ وتكمن القيمة الحجاجية لأسلوب القصر، في تدعيم الحجة وتقويتها أي ما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين إلا طلب المغفرة من الله كونهم فرطوا وقصروا في واجب طاعته وعبادته عز وجل وطلبا منه في تثبيتهم في مواطن الحرب ونصرهم على الكافرين (15).

9-المقطع الحجاجي التاسع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿149﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران 149-150].

والحجة هي إتباع المؤمنين المنافقين وتبديلهم بالإيمان بالكفر، أما النتيجة المتوقعة فتتمثل في تمرير فكرة أن غضب الله على عباده يؤدي إلى الخسران المبين. وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- الشرط: جاءت بالأداة (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾؛ وجملة الشرط هنا هي طاعة المؤمنين للكفار والمنافقين فيما يأمرونهم به، أما جملة جواب الشرط فتتمثل في أن هذه الطاعة تؤدي بهم إلى الخسران المبين ولا خسران أعظم من أن يبدلوا الكفر بالإيمان⁽¹⁶⁾، فهنا نجد الله يحذر المؤمنين من طاعة الكافرين لأن ذلك يؤدي بهم إلى الذل والهوان في الدنيا ويصبحوا تحت رحمة الأعداء، وأما عن الآخرة فيحرموا من ثواب الله وينالوا السخط منه⁽¹⁷⁾.

ب-الروابط الحجاجية:

(15) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص233.

(16) المرجع نفسه، ص235.

(17) عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، دار العلم للملايين، ط1، 2012م، ص141.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

- الاستدراك :جاء هذا الأخير بالأداة (بل) التي هي رابط حجاجي يقابلها إثبات الدعم الإلهي للمؤمنين بالنصر في الغزوة وذلك بقوله تعالى : **بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ** ۖ. حيث يبين الله هنا أنه هو ناصرهم وذلك من خلال طاعة المؤمنين له⁽¹⁸⁾.

10- المقطع الحجاجي العاشر:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ، 152].

والحجة هي الفشل وإتباع الشهوات واختلاف أمر المقام في الجبل أدى إلى خسارة المسلمين في المعركة يوم أحد، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما إدراك تصريف الله المؤمنين بعضهم عن بعض وذلك لوجود فئة عاصية وفئة مؤمنة، وأيضا الوصول إلى فكرة ابتلاء الله للمسلمين بما يحبون وذلك بالعفو عنهم عند الصبر على قضاءه.

وقد تضمن هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة هي:

- التوكيد: حيث تكرر في الآية مرتين بالأداة (لقد) وهنا نجد أن الله يؤكد لنا في قوله : **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ...﴾** أي أن الله لقد حقق وعده لكم أيها المؤمنون بالنصر على المشركين إذ تقتلونهم قتلا ذريعا ، بإذن الله وقضائه وحتى إذا ضعفت نفوسكم وعجزتم عن مقاتلة العدو لا تستسلموا⁽¹⁹⁾.

(18) المرجع السابق، ص141.

(19) عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص141.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿...وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ...﴾ هنا يؤكد الله أنه ذو فضل عظيم على المؤمنين لأنه بالرغم من أنهم عصوا أمره وتركوا أماكنهم إلا أن الله عفا ما بدر منهم من ضعف أمام شهواتهم وعصيانهم لرسول الله (20).

11- المقطع الحجاجي الحادي عشر:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمْتُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران، 153].

والحجة هنا تتمثل في فرار المسلمين من الأعداء حين انقلب النصر الذي كان ينتظرونه إلى الهزيمة خلال معركة أحد، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في تشكيل مفهوم مواساة الله للمؤمنين على ما أصابهم من القتل والجراح والهائم على ما فاتهم من الغنيمة كي لا يحزنوا، بظفرهم بالعدو.

وقد اشتمل هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة هي:

- النهي: وتمثل فعل النهي (لا تحزنوا) في قوله تعالى: ﴿...لِكَيْلًا تَحْزَنُوا...﴾، وهنا ينهيهم الله على الحزن الذي تطرق إلى قلوبهم من بعد الخسارة فجازاهم الله غماً متصلاً بغم وليس المقصود في قوله غماً بغم، غمين اثنين، وإنما المراد مواصلة الغموم وتفرقها، فما سمعوه من إشاعة مقتل نبيهم محمد ﷺ أدخل الغم الأكبر على قلوبهم، وما فاتهم من الغنيمة أنساهم الغم الأكبر (21).

12- المقطع الحجاجي الثاني عشر:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ۗ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۗ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ

(20) المرجع السابق، ص142.

(21) المرجع نفسه، ص146.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

مِنْ شَيْءٍ ۖ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۗ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۗ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿آل عمران 154﴾.

الحجة هنا هي اعتراض طائفة المنافقين على ما حل بهم في المعركة، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما الإيمان بأن الموت مكتوب على كل نفس لأن الله لا يفرق بين الذي لحق أجله سواء أكان في بيته أو في قتال، وأيضا معرفة أن اختبار الله للمسلمين وابتلائهم بالهزيمة كان لأجل التمييز بين المنافقين والمؤمنين.

وقد تضمن هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- التوكيد: تمثلت أداة التوكيد في قوله تبارك وتعالى: ﴿...وَمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ...﴾، حيث يؤكد الله لنا أن طائفة المنافقين أوقعتهم أنفسهم في الهموم والغم ولا يهتمهم من الأمر إلا سلامة أنفسهم وظنهم بالله غير الحق ظن الجاهلية وهو أن الإسلام ليس بدين الحق وأن الله لن ينصر رسوله محمد ﷺ وهذا ظن الذين لم يعرفوا الإيمان أصلا⁽²²⁾.

ب- الاستفهام: ورد الاستفهام في هذه في قوله: ﴿...هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ...﴾، فقد أثبت الله بالدليل العقلي صحة قول المنافقين بواسطة هذا الاستفهام الذي خرج إلى صيغة الإنكار، حيث يقولون مستكرين هل لنا من أمر النصر الذي وعنا الله به من شيء؟ ولو كان لنا الاختيار ما خرجنا للقتال⁽²³⁾.

وهنا تأتي آلية أخرى هي:

(22) لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص95.

(23) ينظر: عفيف عبد الفتاح طبارة، تفسير سورة آل عمران، ص-ص146-147.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ج-الأمر: حيث يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿...قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ...﴾، أي قل لهؤلاء المنافقين أن الأمر كله بيد الله يصرفه كيف يشاء⁽²⁴⁾، وقوله أيضا ﴿...قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ...﴾ أي قل لهم يا محمد لو لم تخرجوا من بيوتكم وفيكم من قدر الله عليه القتل لخرج أولئك إلى مصارعهم فقدر الله لا مناص منه ولا مفر⁽²⁵⁾.

13-المقطع الحجاجي الثالث عشر:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران، 155].

والحجة هنا هي تراجع المؤمنين حينما التقى جمع المسلمين وجمع الكفار في المعركة، وفرارهم منهزمين خائفين من لقاء العدو، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما الوصول إلى الفهم بأن وسوسة الشيطان أوقعتهم في الخطيئة ومخالفة أمر الرسول ﷺ، وأيضا تمرير فكرة تجاوز الله عز وجل عن عقوبة المسلمين والصفح عنهم.

وقد اشتمل هذا المقطع على آية حجاجية واحدة هي:

- القصر: يخاطب الله عز وجل الذين فروا منهزمين منكم يوم غزوة أُحُد حيث التقى جمع المسلمين مع جمع المشركين⁽²⁶⁾. فقد ساهم العامل الحجاجي (إنما) في تدعيم الحجة وتقويتها كون أن المتكلم والمخاطب يعلمان أنه استزلهم الشيطان ولكنه يريد الله تنبيه المخاطب لهذا الأمر وتأكيد في نفسه، أي إنما أزلهم الشيطان

⁽²⁴⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص 237.

⁽²⁵⁾ المرجع السابق، ص 237.

⁽²⁶⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير آل عمران، ص 147.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

بوسوسته وأوقعهم في الخطيئة ببعض ما عملوا من الذنوب وهو مخالفة أمر الرسول ﷺ (27).

14-المقطع الحجاجي الرابع عشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿156﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ ﴿157﴾ وَلَئِن مِّنْكُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران، 156-157-158].

والحجة هنا هي اعتقاد المنافقين بأن البقاء في المنزل أو عدم خروج إخوانهم إلى السفر والحرب يمنع عنهم الموت، وتقضي هذه الحجة إلى مجموعة من النتائج هي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي والمميت فلا يمنع الموت قعود، وأيضا تحفيزهم على نيل الرحمة والمغفرة من الله إثر الاستشهاد في الحرب والجهاد في سبيل الله، وأيضا الإدراك بأن مرجع الناس إلى الله مهما اختلف سبب الموت لأنها بيد الله.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

أ. النهي: تمثل فعل النهي (لا تكونوا) في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، ففيه توجيه المؤمنين إلى سلوك معين وهو نهيمهم وذلك بنصحهم بعدم إتباع الكافرين وقطع أملهم بالله لأنه لا يقنط من الفرج إلا الكافرين (28).

(27) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص237.

(28) عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، مج1، ط1، 1438هـ، ص680.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

ب - الشرط: جاءت جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿...إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا...﴾ بذكر الأداة (إذا الشرطية) حيث ساهمت في ربط الحجة بالنتيجة، أي أن هؤلاء المنافقين قالوا لإخوانهم إذا خرجوا في الأسفار أو خرجوا غازين في سبيل الله أي لو أقاموا عندنا ولم يخرجوا لما ماتوا أو قتلوا⁽²⁹⁾.

ج-الروابط الحجاجية:

- لام التعليل: حيث ربط بين السبب (اعتراض المنافقين على موت إخوانهم في الحرب) ، والنتيجة هي (أن الاعتقاد الفاسد صار حسرة على نفوسهم)، فرد الله على قولهم واعتقادهم أنه هو الذي يحيي ويميت ومطلع على أعمال العباد فيجازيهم عليها، فأثروا ما يقربكم إلى الله ويوجب رضاه من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته⁽³⁰⁾.

15-المقطع الحجاجي الخامس عشر:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران، 159].

والحجة هنا هي إيداع الله الرحمة في قلب نبيه محمد ﷺ ليكون هينا لين الجانب مع أصحابه، وتقضي هذه الحجة إلى نتيجتين هما تمرير فكرة أن جفاء الطبع وقسوة

⁽²⁹⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص238.

⁽³⁰⁾ ينظر: عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد

الملك بن عبد الله بن دهيش، العزيزية، ج1، ط1، 2008م ص-ص241-242.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

القلب والتعامل بالغلظة والجفا نتیجتهم النفور، وأیضا دفع المسلمین إلى التجاوز عن أذى القوم وطلب المغفرة من الله والمشاورة في جميع الأمور بغية الاقتداء بالنبي.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

أ. الشرط: قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ وقد جاء الشرط بالأداة (إذا)، حيث تتمثل جملة الشرط في: أي أن الله منح محمد رحمة كان لينا مع المسلمين في كافة أحوالهم، بينما جملة جواب الشرط هي: أنه إذا كان غليظ الجانب سيء الخلق وصاحب القلب القاسي، عديم الرحمة لتفرق عنك أصحابك ونفروا منك ولم يطمئنوا إليك⁽³¹⁾.

ب - الأمر: تضمنت هذه الآية أفعال الأمر (اعف، شاور، استغفر) أي يا محمد أعفوا عن خالف أمرك وما ترتب على تلك المخالفة هزيمة المسلمين في المعركة⁽³²⁾، واطلب من الله المغفرة لهم وشاورهم في جميع أمورك ليقفدي بك الناس وإذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فاعتمد على الله وفوض أمرك إليه⁽³³⁾.

16-المقطع الحجاجي السادس عشر:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران، 160].

والحجة هنا هي الغلبة والنصر يكون بمشيئة الله إن أراد نصر وإن أراد خذل، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في معرفة أن التوكل على الله ينجي العبد من كل شيء.

وقد اشتمل هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة هي:

⁽³¹⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص151.

⁽³²⁾ المرجع السابق، ص151.

⁽³³⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص240.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

-الشرط: جيء بالأداة (إِنَّ) في قوله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ...﴾ فتكمن جملة الشرط في أن الله إن خص عباده بالنصر وأيدهم بنصره كما حصل في -غزوة بدر- (34)، وجواب الشرط في أنه لن يكون هناك غالب إن كتب على المسلمين الفوز في المعارك، وقوله: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ أي وإن أراد الله خذلان وترك المعونة فلا ناصر غيره؛ فمهما وقع للمؤمنين من النصر كيوم بدر أو من الخذلان كيوم أحد فبمشيئة الله سبحانه لأن الأمر كله إليه بيده العزة والنصرة والإذلال والخذلان (35). وبذلك يكون اعتماد المسلمين والتوكل عليه وحده.

17-المقطع الحجاجي السابع عشر:

﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ۗ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٦﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْأَجْمَعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٧﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۗ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ۗ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران، 165-166-167].

والحجة هي إصابة المؤمنين بالخسارة في الغزوة، وتقضي هذه الحجة إلى نتيجة مرتقبة مفادها تمرير فكرة علم المؤمنين والمنافقين على السواء بأن الخسارة في المعركة هي بإذن الله.

تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

(34) لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص96.

(35) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص-ص239-240.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

أ - الحذف: وجد الحذف في قوله ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ؛ حيث يكون أصل الكلام (فهو بإذن الله) فهي خبر للمبتدأ (ما أصابكم) .

ب - الاستفهام: ورد في قوله ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا...﴾ أي قلتم من أين حل علينا هذا البلاء؟ ومن أين جاءتنا الهزيمة وقد وعدنا الله بالنصر؟ فقد خرج الاستفهام إلى غرض التعجب، لأن المؤمنين كانوا ينتظرون النصر ولا يعلمون أن سبب خسارتهم هي من عند أنفسهم⁽³⁶⁾. فقل لهم يا محمد أن ما أصاب جمع المسلمين من نكسة وهزيمة هو من عند ربكم وبسبب مخالفة البعض ما أمروا به وهو البقاء في أماكن القتال⁽³⁷⁾.

وغرض الاستفهام هنا هو إقناع المخاطبين بأن الله يصرف البلاء على من يشاء ويوجز النصر على من يشاء .

ج- الأمر: وردت أفعال الأمر في قوله: (تَعَالَوْا، قَاتِلُوا ، اذْفَعُوا)؛ وهنا نجد الله يدعوهم إلى إتباع محمد ﷺ لأنه ناداهم لكي يقاتلوا المشركين معه لنصرة الإسلام وذلك بالانضمام إليهم فيكثر عددهم ويذهبهم فيحجموا عن قتالهم ولكن المنافقين اعترضوا على إتباعهم⁽³⁸⁾. وهنا نجد أن أفعال الأمر الذي أصدرها الله عز وجل اكتسبت بعدا حجاجيا إذ تضمن حجة تقضي إلى نتيجة هي إقناع الله المسلمين إتباع سنن نبيه.

د- الشرط: جيء بالأداة (لو) في قوله تعالى: ﴿...لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ...﴾؛ فتكمن جملة الشرط في أن المنافقين قالوا للمؤمنين لو نعلم أنكم تقاتلون وتعرفون

⁽³⁶⁾ المرجع السابق، ص241.

⁽³⁷⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص156.

⁽³⁸⁾ المرجع نفسه، ص158.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

فنون وأساليب الحرب. وجملة جواب الشرط هي لانضم إخواننا إليكم واتبعناكم، وهم في هذه الحالة أقرب للكفر من الإيمان لأنهم يتظاهرون بالإيمان ولكن لا يملكون في قلوبهم منه شيء فهو موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم ويقصد هنا فئة المنافقين⁽³⁹⁾. لأنها أعدار يظهر الله بها مدى النفاق وما يظهرونه بالأعدار التي يبدونها للتملص من الحق وهي حجة كانت في وجه الحق ضعيفة سترت خلفها كبرا ونفاقا لأن النفوس لا تتشوف إلى المعارضة بلا سبب بل تبدي حججا واهية وأعدارا ضعيفة⁽⁴⁰⁾، فالمنافقون هنا لا يعارضون أمر النبي ﷺ في الجهاد وإنما يقدمون أعدارا واهية.

18-المقطع الحجاجي الثامن عشر:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران، 168].

والحجة هنا اعتقاد المنافقين أن طاعة المؤمنين لهم تبعد عنهم القتل والموت في الحرب، وقد أعطت هذه الحجة نتيجتين هما تمرير فكرة أن الموت قضاء وقدر وبيد الله فقد تتعدد أسبابه ولا يرتبط بالمعركة فقط، وأيضا الوصول إلى فكرة عدم قدرة المنافقين عن إبعاد الموت عن أنفسهم.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية التالية:

أ-الشرط: جيء هذا الأخير بالأداة (لو) في قوله ﴿...لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا...﴾، فتكمن جملة الشرط في أن الذين قالوا لإخوانهم وعشيرتهم الذين مثلهم في

⁽³⁹⁾ محمد شلتوت، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ط12، 2004م، ص87.

⁽⁴⁰⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص158.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

النفاق أنه لو أطاعهم المؤمنون وتخلفوا عن القتال⁽⁴¹⁾. وجملة جواب الشرط هي ما قتل المؤمنون في المعركة، فكان احتجاجهم لأهلهم بأنهم هم الأدرى بكل شيء قبل الله وأن المؤمنون لم يسمعوا بنصيحتهم ولم يرجعوا من القتال كما رجع أهل النفاق⁽⁴²⁾.

ب - الأمر: وردت أفعال الأمر (قل، فادعوا)، فالله يوجه القول للمنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد أي أن هذا التخلف عن القتال ينجي من الموت كما يزعمون فيأمرهم الله بأن يدفعوا عن أنفسهم الموت الذي كتبه الله عليكم حين يأتي أجله وأن الموت لن يقع بكم إذا تخلفتم عن الجهاد وقعدتم في بيوتكم وأنهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم الموت ولو كانوا صادقين وأن الحذر لا يمنعهم من القدر⁽⁴³⁾.

19-المقطع الحجاجي التاسع عشر:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران 169-170-171].

والحجة هنا هي حسابان المؤمنين أن الذين استشهدوا في سبيل الله أموات، وتقضي هذه الحجة إلى نتيجتين هما الوصول إلى الفهم بأن الذين ماتوا وهم يحاربون في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون وفي جنان الخلد يتنعمون، وأيضا

⁽⁴¹⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص-ص 159-158.

⁽⁴²⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص 242.

⁽⁴³⁾ لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص 98.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

إدراك إنعام الله على الشهداء بالبشرى والاطمئنان على إخوانهم المسلمين الذين يقاتلون في سبيل الله.

وقد احتوى هذا المقطع الحجاجي على آية حجاجية واحدة هي:

النهي: ورد فعل النهي (لا تحسبن) أي أن الله يخاطب محمد ﷺ وأصحابه وأيها المستمع أن الذين قتلوا بغزوة أُحُد دفاعاً عن الإسلام أموات لا يحسون بشيء ولا يتنعمون بل هم أحياء عند ربهم يرزقون في الجنة ويتنعمون بألوان النعيم التي أنعمها الله عليهم، أي هم فرحين ومسرورين بما أعطاهم الله من كرامته وفضله وجزيل ثوابه⁽⁴⁴⁾.

ويتبين لنا أن الفعل اللغوي (لا تحسبن) المتمثل في النهي فيه توجيه الله المؤمنين إلى سلوك معين قصد نصحهم وإقناعهم بأن من يقتل في سبيل الله يحسب عند الله شهيدا ودرجته عظيمة وكريمة.

20-المقطع الحجاجي العشرون:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، 172].

والحجة هي وجود الإحسان والتقوى إلى جانب الاستجابة لله رغم القرع والمصيبة، أما النتيجة المتوقعة فتتمثل في الوصول إلى فكرة الاصطفاء المولى عنهم واستفادة المؤمنين من الأجر العظيم.

ويبين الله أن أولئك الذين أجابوا داعي الله وأطاعوا رسوله بالخروج للجهاد في سبيل الله من بعد ما نالهم الجرح العميق في غزوة أُحُد وأحسنوا القيام بما أمرهم الله

⁽⁴⁴⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص160.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ورسوله، لهم أجر عظيم عن الله يتناسب مع جهادهم وصبرهم أي أنهم لبوا دعوة الرسول إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم بذلك أحسنوا واتقوا عصيان أمر الله ورسوله⁽⁴⁵⁾.

وقد تضمن هذا المقطع على آلية حجاجية واحدة هي:

- التقديم والتأخير: ورد التقديم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ...﴾ حيث قدم المبتدأ الذي هو (أجر عظيم) عن الخبر (موجود للذين ..) وجملة (ما أصابهم) صلة موصول لا محل لها من الإعراب، وأصل الكلام يكون: أجر عظيم موجود للذين أحسنوا من بين الذين استجابوا لله والرسول ﷺ.

21- المقطع الحجاجي الواحد والعشرون:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ، 173].

الحجة هي الإيمان والحسبة والتوكل على الله رغم تخويفهم من طرف المنافقين بكثرة تعداد العدو، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في تشكيل مفهوم أن زيادة الإيمان يؤدي إلى الأجر العظيم.

وقد اشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- التوكيد: جاء هذا الأخير بالأداة (إنّ+قد) في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾، فهنا يؤكد الله عز وجل أن نعيم بن مسعود الذي حاول

⁽⁴⁵⁾ لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص98.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

تشبيط المؤمنين قال للمسلمين أن أعدائكم قد جمعوا لكم جيشاً كبيراً لمقاتلتكم فخافوهم ولا تتورطوا بقتالهم⁽⁴⁶⁾.

فكان تخويفه للمسلمين لم يجد نفعا بل زادهم إيمانا بالله وبقينا بتأييد نصره وقالوا حسبنا الله أي يكفينا الله أمرهم فإذا كان المشركين سوف ينتصرون بجيشهم الكبير فنحن كفايتنا بالله هو ناصرنا⁽⁴⁷⁾.

ب- الحذف: حذف في قوله (..إنَّ الناس قد جمعوا لكم..). اختصارا للعلم به، وأصل الكلام يكون: (إنَّ الناس قد جمعوا أنفسهم، أو عددهم...).

22- المقطع الحجاجي الثاني والعشرون:

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران ، 174].

احتوى هذا المقطع على حجتين هما سلامة المؤمنين من سوء حين خرجوا إلى المعركة، وأيضا نعمة الله على المؤمنين في خذل الأعداء وإلقاء الرعب في قلوب المشركين، أما النتيجة المنتظرة فتمثلت في الوصول إلى فكرة أن إتباع رضوان الله هو أعظم ما يناله المؤمن بالنعيم الدائم لأن الله صاحب الفضل العظيم على عباده.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- النفي: الإعراض عن قضية أن المسلمين عادوا سالمين، ورد في قوله تعالى: ﴿... لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ...﴾ وهي أن الله وصف حال المؤمنين حين خرجوا

⁽⁴⁶⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص162.

⁽⁴⁷⁾ المرجع السابق، ص163.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

لللقاء المشركين، ولكن المشركين جبنوا عن لقاء المسلمين فعاد المؤمنون بنعمة السلامة وفضل الأجر والثواب، وينفي الله هنا أن جمع المسلمين لم ينلهم أي مكروه أو أذى لأنهم اتبعوا رضوان الله⁽⁴⁸⁾.

ب- الحذف: وقد دل قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ...﴾ أن سياق الكلام دل على حذف الفعل (خرجوا)، ذلك أن الانقلاب يقتضي أنهم خرجوا للقاء العدو الذي بلغ عنهم أنهم جمعوا لقتال جمع المشركين، وأصل الكلام يكون: فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله، وذلك أنه ذو الفضل العظيم على العباد.

23- المقطع الحجاجي الثالث والعشرون:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران، 175].

والحجة هنا هي تخويف الشيطان المؤمنين من لقاء العدو، أما النتيجة المرتقبة فتمثلت في الوصول إلى فكرة عدم خوف المؤمنين لأن الله ناصرهم.

وقد اشتمل هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- النهي: ورد فعل النهي في الآية (فلا تخافوهم)، حيث يوجه الله المؤمنين إلى عدم الخوف من أولياء الشيطان وأتباعه وهم المشركون لكي لا تهربوا جمعكم مع طاعتكم لربكم فالله سبحانه وتعالى قد كفل لكم النصر والظفر⁽⁴⁹⁾، إذا فامتثال هذا النهي وتنفيذ هذا الفعل الكلامي هو النتيجة التي أرادها الله عز وجل من عباده المؤمنين فقد وجه القول الوجهة التي تؤدي إلى نصحتهم وإقناعهم لامتنال أوامر الله بناء على أنه يمتلك حق طاعتهم له.

(48) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص 245.

(49) عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص 164.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ب-الأمر: تضمن فعل الأمر في قوله (..وخافون..) حيث يأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بأن يخافوه هو وحده ولا يعصوه ولا يخالفوا أمره إن كان إيمانهم صادق قائم بما يفرضه عليهم من التضحية في سبيله⁽⁵⁰⁾.

24- المقطع الحجاجي الرابع والعشرون:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۗ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ
أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران ، 176-177].

الحجة هنا هي مسارعة المنافقين في الكفر أدى إلى حزن النبي ﷺ لأنه كانت رغبته الملحة بأن يؤمن الناس بالله الواحد، أما النتيجة المرتقبة فتمثل في الوصول إلى الفهم بأن من بدل الإيمان بالكفر لن يضر الله بل يضر نفسه لأنه سيحل عليه غضب الله وسخطه.

وقد تضمن هذا المقطع الآليات الحجاجية الآتية:

أ - النهي: جاء فعل النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي
الْكُفْرِ ۗ...﴾، فنجد الله هنا يواسي النبي ﷺ أي لا تحزن ولا تتألم يا محمد لأولئك
المنافقين الذين يبادرون نحو الكفر بأقوالهم وأفعالهم ولا تبال بما يظهر منهم من آثار
الكيد للإسلام وأهله⁽⁵¹⁾.

فالنهي هنا يحمل الحجة التي تقضي إلى الإقناع والإثبات بنتيجة واحدة أن
الكافرين لن يضرروا الله بأي شيء .

⁽⁵⁰⁾ ينظر: المرجع السابق، ص-ص164-165.

⁽⁵¹⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التقاسير، ص245.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

ب - التوكيد: جاء هذا الأخير بالأداة (إِنَّ) حيث تكرر مرتين في الآيات، فالله يؤكد لنا أن من بدل إيمانه بالكفر وبمسارعتهم في الكفر لا يضرؤا الله بأي ضرر، لأنه القاهر فوق عباده ولا يجعل لهم نصيب من ثواب الآخرة ولهم فوق حرمانهم هذا الثوب الكريم عذاب عظيم⁽⁵²⁾.

25- المقطع الحجاجي الخامس والعشرون:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران ، 178].

والحجة هنا هي حسابان الكافرين أن البقاء في الحياة بعمر طويل هو أحسن لهم، أما النتيجة المنتظرة فتتمثل في الوصول إلى فكرة زيادة كسب الإثم من طرف الكافرين وذلك بارتكابهم المعاصي وعدوان الله.

وقد احتوى هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- النهي: جاء فعل النهي (لا يحسبن) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ أي لا يظنن الكافرون أن إمهال الله لهم بدون جزاء وعذاب وإطالته للأعمار خير لهم⁽⁵³⁾، وأن إمداد الله لهم بطول العمر وإعطائهم نعيما في الدنيا وعدم تعجيله بعقوبتهم على ما فعلوه بالمسلمين هو خير لهم⁽⁵⁴⁾.

ب- القصر ب (إنما): حيث فادت جملة القصر في قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ...﴾؛ إنما الله يمهل أعمارهم ويطيّلها ويؤخر

⁽⁵²⁾ لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص 99.

⁽⁵³⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص 245.

⁽⁵⁴⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص 167.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

العقوبة ويطيلها ليقترف الكافرون مزيدا من المعاصي ويكون عقاب الله لهم عذاب وذل ومهانة لهم مقابل ما كانوا عليه في الدنيا من كبرياء واعتزاز⁽⁵⁵⁾.

وتكمن القيمة الحجاجية لأسلوب القصر (إنما) في هذه الآية، بالنظر إلى القيمة الواقعية للتخصيص (تخصيص إطالة العمر لزيادة الإثم) مما جعل هذا التركيب موعلا في الحجاج أن الله لا يمهل شيئا وله سبب من الأسباب.

26- المقطع الحجاجي السادس والعشرون:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَكِنَّ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ، 179].

الحجة هي ترك المؤمنين على حالهم وهو امتحانهم بالجهاد والعبادات الأخرى، أما النتيجة المرتقبة فتتمثل في الوصول إلى فكرة إيمان كل الناس وإذعان المنافقين وتوبة الخبيثين وذلك لفرز الخبيث من الطيب.

وقد اشتمل هذا المقطع الحجاجي على الآليات الحجاجية التالية:

أ- الشرط: جيء هذا الأخير بالأداة (ما) الشرطية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ...﴾ حيث تضمنت جملة الشرط (ما كان الله ليذر المؤمنين) أي أن الله ليس من شأنه أن يترك المؤمنين على ما هم عليه لأنه فيهم الصادق في إيمانه وفيهم المنافق الذي يضمم بالكفر بل لا بد من الابتلاء لهم بالتكاليف الشاقة كالجهاد⁽⁵⁶⁾. وجملة جواب الشرط

⁽⁵⁵⁾ المرجع نفسه، ص167.

⁽⁵⁶⁾ ينظر: عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص-ص167-168.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

(حتى يميز الخبيث من الطيب) أي حتى يفصل الله ويفرق بين المؤمنين والمنافقين، حيث كشف الله لرسوله محمد ﷺ والمؤمنين في غزوة أُحُد حجم النفاق ومداه حين انسحب صفوف المسلمين ولم يشتركوا في المعركة وظهر بالمقابل إخلاص المؤمنين واستماتتهم في سبيل إعزاز دينهم ونصرته⁽⁵⁷⁾.

ب- الروابط الحجاجية:

- الاستدراك: بالأداة لكن في قوله تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾، أن ما كان الله ليطلعكم -أيها المؤمنون- على إضمار قلوب عباده فتعرفوا منهم المؤمن من المنافق⁽⁵⁸⁾، فالرابط (لكن) استدراك على ما يقتضيه هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة أن الله يصطفي من رسله من يشاء فيطلع على بعض ما في ضمائر بعضهم وعلى شيء من أمور الغيب الذي يختص به⁽⁵⁹⁾.

ج- الأمر: ورد فعل الأمر (فآمنوا) في قوله تعالى: ﴿...فَآمِنُوا بِاللَّهِ...﴾، حيث يأمر الله عباده المسلمين بأن يؤمنوا إيماناً صحيحاً أن الله وحده المطلع على الغيب وأن ما يخبر به الرسول من أمور الغيب إنما هو بوحى من الله⁽⁶⁰⁾.

وتكمن القيمة الحجاجية لفعل الأمر (آمنوا) وهي دعوتهم للثبات على دين الله وإقناعهم أن من يؤمن بالله فله أجر عظيم عند ربه.

27- المقطع الحجاجي السابع والعشرون:

⁽⁵⁷⁾ المرجع السابق، ص168.

⁽⁵⁸⁾ لجنة القرآن والسنة، تفسير القرآن الكريم، ص100.

⁽⁵⁹⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص169.

⁽⁶⁰⁾ محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ص246.

الفصل الثاني : الحجاج في قصص الغزوات

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۚ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران، 180].

والحجة هنا هي حسابان البخيل أن جمعه للمال وما رزقه الله من النعم هو نفع له في الدنيا، أما النتيجة المتوقعة فنتمثل في إدراك أن الله ميراث السموات والأرض ومن يبخل برزق الله فقد طوّق يوم القيامة، لأن المالك الوحيد لهذا الكون هو الله الواحد الأحد.

وقد تضمن هذا المقطع على الآليات الحجاجية الآتية:

أ- النهي: ورد فعل النهي (لا يحسبن) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾، فنجد الله هنا ينهى الذين يظنون أن ما يبخلون بما أعطاهم الله من فضله من مالٍ فلا ينفقون منه في سبيل الله وعلى الفقراء هو خير لهم⁽⁶¹⁾.

ب- الإعراض: عن قضية ظنون المنافقين أن البخل خير لهم في قوله: ﴿...بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ...﴾، لأن عاقبة هذا البخل من جهة يسلط غضب الله ومن جهة يولد الحقد في القلوب.

ثالثا - نتائج:

من خلال تطرقنا إلى الحجاج الوارد في آيات القرآن الكريم المتعلقة بغزوات الرسول ﷺ والمسلمين (بدر وأُحد) والموجودتين في سورتي (آل عمران والأنفال)،

⁽⁶¹⁾ عفيف عبد الفتاح طيارة، تفسير سورة آل عمران، ص 169.

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

وذلك بتقسيم الآيات المتضمنة للغزوتين إلى مقاطع حجاجية توصلنا إلى دراسة إحصائية خاصة بكل غزوة والتي سنصوغها كالتالي:

1- في غزوة بدر الواردة في سورتي آل عمران والأنفال والمشملة على ثلاثة وعشرون مقطعا لاحظنا من خلالها هيمنة عامل حجاجي متمثل في التوكيد، حيث تكرر هذا الأخير بمعدل ثلاثة عشر مرة في هذه المقاطع بينما وردت الروابط الحجاجية ثمان مرات، والشرط ثمان مرات، والأمر سبع مرات، والإعراض ثلاث مرات، أما الاستفهام فقد وجد مرة واحدة فقط. من المعروف أن التوكيد يأتي رافعا للشبهة ودافعا للظن فله أهمية واضحة في الحجاج لأنه عامل حجاجي مهم يستعمله المتكلم لإقناع المخاطبين بصدق خبر ما وبهدف التأثير فيه وتغيير اعتقاده، لذلك ناسب وجوده هنا بكثرة تقوية وتوضيح وتأكيد المعاني التي جاءت بها آيات هذه الغزوة.

2- أما في غزوة أُحُد الواردة في سورة آل عمران والتي بلغ عدد مقاطعها الحجاجية سبعة وعشرون مقطعا، فقد جاءت مشحونة بعاملين حجاجيين كانت نسبة ورودهما متساوية (ثمان مرات لكل منهما) هما النهي والشرط بينما وجد التوكيد بمعدل سبع مرات، والأمر ست مرات، والروابط الحجاجية خمس مرات وكذلك القصر، أما الإعراض فورد ثلاث مرات، والاستفهام مرتين فقط، وقد ناسب وجود هاذين العاملين (النهي والشرط) بكثرة توضيح معاني مقاطع هذه الغزوة، فالنهي كما هو معروف أسلوب إنشائي وهو ضمن الأفعال اللغوية التي تحمل معنى الدعوة والدعوة تحتاج إلى إقناع، وهذا يدل على عمق صلته بالحجاج، ذلك أن حجاجية النهي هنا تتمثل في حضور جميع العناصر الدالة على الحقيقة المفضية إلى إقناع المخاطبين والتأثير فيهم بسلوك معين، أما العامل الحجاجي المتمثل في الشرط

الفصل الثاني : _____ الحجاج في قصص الغزوات

والوارد بنسبة متساوية مع النهي كما سبق وذكرنا، فقد جاء بأدوات مختلفة من شأنها الربط بين جملتي الشرط وجوابه ربطا دلاليا منطقيا، حيث ساهمت هذه الأدوات في توضيح المعاني التي تضمنتها مقاطع هذه الغزوة من خلال تقديمها للحجة والتدعيم للوصول إلى النتيجة المحققة وذلك بالنظر التداولي لها حين استعمالها في الحجاج، لأنها تكون مقدمة لحجج أو النتائج أو تكون احتياطا أو تحفظا على نتيجة حجاجية.

خلاصة:

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الآلية الحجاجية المهيمنة على مقاطع كل من الغزوتين معا تتمثل في عامل حجاجي هو التوكيد الذي تكرر بمعدل عشرين مرة في مقاطع مختلفة، وقد ناسب تكرار هذا العامل تبيان البعد الحجاجي للمقاطع الحجاجية التي تضمنتها الغزوتين (بدر وأُحد) حيث يعد ركنا أساسا في البناء الحجاجي ذلك أنه يحمل الحجج التي تقضي إلى الاقتناع بنتيجة واحدة. وعليه فنحن نرى أن نوع الحجاج السائد في الغزوتين هو الحجاج اللغوي الذي يعد أسلوبا من الأساليب اللغوية التي تستخدم آليات خاصة بغرض إيصال المتلقي إلى مرحلة التأثير والاقتناع.

وفي الأخير نقول إن قصص غزوات الرسول ﷺ والمسلمين (بدر وأُحد) في القرآن الكريم قد اشتملت على وسائل عدة من صور الإقناع والتأثير تمثلت في روابط وعوامل حجاجية من مثل الاستدراك، التوكيد، القصر، الإعراض،... وكذا أساليب إنشائية أخرى هي الاستفهام، الأمر، النهي، إذ إننا رأينا كيف أنها توجه القول حجاجيا، وكيف تساهم في إكساب النص درجة عالية من الاقتناع لدى المتلقي.

الخاتمة

بعد أن رصدنا دراسة نظرية وتطبيقية لكل من الاستلزام التخاطبي والحجاج في قصص الغزوات في القرآن الكريم، نقدم أهم النتائج التي توصلنا إليها:

أولاً- نتائج دراسة الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات في القرآن الكريم:

1- إن أثر السياق القرآني على كل متلقٍ ينبعث من كونه كلام الله تعالى المميز بالكمال المطلق، والمنزل بأطهر اللغات وأصدقها، فمن كماله أنه لا يقتصر على تبيان مراده ومقصده ومقصد قائله وفهمه ضمن سياقه الذي جاء فيه.

2- إن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية، لذلك يهتم الاستلزام التخاطبي بما يفعله المتكلمون باللغة من إنجاز وتأثير وتبليغ، وبمراعاة سياق الحال والغرض الذي يريده المتكلم من كلامه والفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب.

3- الاستلزام التخاطبي يكشف عن الجانب الآخر من التواصل، يجوز تسميته بـ: "التواصل غير المباشر" بدليل أن المتكلم يقول كلاماً ويقصد غيره، كما أن السامع يسمع كلاماً ويفهم منه غير ما سمعه، كما له قيمة جمالية فنية تؤثر في المتلقي وتؤدي إلى التفاعل والاندماج مع النص.

4- تتم عملية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم بمعونة جملة من الاستدلالات العقلية التي تسمح للمخاطب من استنتاج المعنى المستلزم للعبارة ومن ثم تجاوز الدلالات الحرفية إلى دلالات مستلزمة وما يساعد على ذلك هو القصد والخلفية المعرفية للمخاطب.

5- تميز السياق القرآني بالمرونة والحيوية، إذ يتمتع باحتمالية تعدد المعاني، ذلك أن دلالاته متنوعة ومرونة السياق فيه مظهرٌ يدعو إلى إنكاء عقل المجتهد، وعدم قصره على معنى واحد لا غير.

6- كثرت الأساليب الإنشائية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني أخرى مستلزمة؛ نظرا لما لها من قوة في إقناع المتلقين، إذ تعتمد بيان المعنى مصحوبا بالدليل والحجة.

7- اعتنى الدين الحنيف بالعنصر التهذيبي في العملية التخاطبية واحترام الآخر، وهذا بين الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، الذي جاء بأسلوب الحوار الراقي قبل هذه الدراسات العربية الحديثة بقرون كثيرة.

8- تضمن القرآن الكريم دلالات صريحة ومباشرة ودلالات مستلزمة غير مباشرة، تستنبط من خلال السياق التداولي لها، وأن كتب التفسير التي استعنا بها كانت تداولية بامتياز فقد أشارت إلى كل هذه المعاني المباشرة منها والمستلزمة في كل جزء من كلام الله، كما بينت أغراض ومقاصد المتكلمين في كل مقام.

9- راعى الاستلزام التخاطبي في الآيات المتعلقة بالغزوات مبدأ التعاون من خلال مراعاته لقواعده المتمثلة في: قاعدة الكم، قاعدة الكيف، قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وكذا قاعدة جهة الخبر.

ثانيا- نتائج دراسة الحجاج في قصص الغزوات في القرآن الكريم:

1- إن أهم ما يقوم عليه الحجاج هو تقديم الطروحات التي تدعو العقول إلى التدبر الموضوعي والواعي في القضايا المقدمة، بغية بناء الرأي الصحيح فهو يمثل قوة تدفع المخاطب إلى التفكير والتأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة.

2- يعد الحجاج عنصرا مهما في عملية الإقناع، وفي إدراك الحق وقبوله، وقد ظهرت دلالاته في قصص الغزوات بوسائل مختلفة كالحوار، الجدل، والمناظرة، لتصب في قالب واحد ألا وهو محاولة استمالة وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

3- اتخذ القرآن الكريم من قصص الغزوات سبيلا للإقناع والتأثير، لأنه يأخذ صورته من واقع الحياة وحوادثها، لذلك كان القصص القرآني هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاجج بها الناس وشأنه في هذا شأن ما جاء به من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز.

4- الخطاب القرآني في مفهومه متميز طبعا عن سائر الخطابات البشرية، فهو يتوجه إلى أصناف متعددة متباينة من المخاطبين في عصور مختلفة يستهدف إرشادهم جميعا مراعيًا تدرج معانيه حسب تدرج الأفهام والعقول.

5- جاءت أساليب الحجاج والاستدلال والجدل مؤدية إلى التأثير والإقناع من دون أن يفرض قيد أنملة في الاستناد إلى البراهين التي يدعمها العقل وتقبلها الفطرة السليمة.

6- القصة القرآنية طريق من طرق الحياة المستقيمة، فهي منهاج الدعوة، تتجلى فيها الحكمة والموعظة الحسنة، فأسلوبها يمتاز بالمحاورة الهادئة والأسلوب المقنع وهذا هو جوهر الحجاج، وهي بذلك تعودنا على المحاورة الجادة وأساليب الإقناع التي يجب أن يلتزمها الداعية فجميع الرسل لا يأمرن أو ينهون بأسلوب عنيف أو بعبارة غير مدللة، وإنما يلتزمون الأسلوب المنطقي والأدلة المكشوفة والمقدمات الموصلة إلى النتائج المرجوة، ومن ثم يكون لكلامهم شيء من الاستجابة ولدعواهم أثار في القلوب، وهذا هو الهدف من الحجاج عندهم الوصول إلى الإقناع والتأثير.

7- إثبات صدق القرآن والرسالة الإسلامية.

8- القصّ في القرآن وسيلة لغرس فكرة التوحيد في النفوس، ونزع ما ينافيها من معتقدات أخرى، ولا يكفي القرآن بنقد هذه المعتقدات بل يعطي الحجة والبرهان على دعواه بدلائل عقلية منطقية، لا يجد العقل مناصا دون التسليم بها.

9- اشتملت الآيات المتعلقة بالغزوتين (غزوة بدر، وغزوة أُحُد) على وسائل عدة من صور الإقناع والتأثير، فجاءت قصص الغزوتين فيها كوسيلة للتمثيل بقصد الإقناع في المتلقي.

10- تعددت واختلفت الروابط الحجاجية في الآيات المتعلقة بالغزوتين وهذا نظرا لما تلعبه هذه الأخيرة (الروابط) من دور فعال في انسجام الخطاب الحجاجي ومن ناحية توجيه الخطاب القرآني وجهة قوية من ناحية أخرى، ومن بين الروابط الحجاجية التي وجدناها في الآيات المتعلقة بالغزوتين نذكر: الفاء، لكن، حتى، لام التعليل .

11- تهدف العوامل الحجاجية إلى تقييد الإمكانيات الحجاجية وحصرها، وما ورد منها في الآيات المتعلقة بالغزوتين: (أما ، ما...إلا، لا...إلا) بأمثلة قليلة لكنها ذات قيمة حجاجية كبيرة.

12- شكل التوكيد ركنا أساسيا في البناء الحجاجي في قصص الغزوتين، والذي تكرر كثيرا، إذ لعب دورا هاما في الكشف عن الشخصيات في هذه القصص من خلال الكشف عن طبائعها ومواقفها وميولاتها وإظهار طاقاتها الحجاجية من خلال اللغة الحوارية.

13- إن دور أفعال الكلام، الخبري منها والإنشائي في الآيات المتعلقة بالغزوتين كان حاجيا بالدرجة الأولى، يهدف إلى الإقناع، وهي (أفعال الكلام) في جوهرها تقنيات حاجية توفرت عليها هذه الآيات، إما في موضع الحوار بين الشخصيات أو في الخطاب العام للآيات، وهذا يعد من الآليات الاستراتيجية الإقناعية في القرآن.

14- سيطر الحجاج اللغوي على مقاطع الغزوتين، واستخدم آليات خاصة بغرض إيصال المتلقي إلى مرحلة التأثير والاقناع، وهذا ما لمسناه في الغزوتين إضافة إلى تنوع الروابط والعوامل الحاجية من (استدراك، قصر، شرط، استفهام، توكيد، أمر نهي، تقديم وتأخير، حذف...) والتي رأينا كيف أنها وجهت القول حاجيا وكيف ساهمت في إكساب النص درجة عالية من الإقناع في المتلقي.

وختاما فإننا نضع هذا البحث المتواضع بين يدي كل من خاض ميدان الدراسات التداولية الحديثة، وحاول توجيه الألباب إلى نسق القرآن الكريم، ولربما وجد في هذا العمل ما وجد من اعوجاج فقومه، أو نقص فتممه، أو أخرجه إخراجا يرى فيه خدمة أكبر للدراسات القرآنية واللغوية.

والله نسأله التوفيق والسداد، وله الحمد من قبل ومن بعد.

قائمة المصادر

والمراجع

• القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً- الكتب:

- 1- أبو بكر العزاوي، تنسيق: حسن مسكين، الحجاج اللغوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2017م.
- 2- جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، م 4، ط1، 1994م.
- 3- الحسن علي بن محمد بن حبيب المارودي البصري، النكت و العيون تفسير المارودي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ج1، د ط، 364-45 هـ.
- 4- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناضرات رقم 134، المملكة المغربية السعودية، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- 5- الخطيب الشربيني، السراج المنير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان، م1، ج 1، د.ط، 2002م.
- 6- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، د.ط، 2008م.
- 7- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء بيروت، ط2، 2000م.
- 8- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط1، 2004م.
- 9- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام، المملكة العربية السعودية، ط 2، 2002م.
- 10- عز الدين الشافعي عبد العزيز بن عبد السلام السليمي الدمشقي الشافعي، تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ج 2، ط1، 1996م .

قائمة المصادر و المراجع :

- 11- عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، العزيفية، ج1، ط1، 2008م.
- 12- عفيف عبد الفتاح طبارة، تفسير سورة آل عمران، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، شباط 2012م.
- 13- عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، مج1، ط1، 1438هـ.
- 14- عزالدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، العزيفية، ج1، ط1، 2008م.
- 15- عمر بن موسى الحافظ، وقفات مع سورة التوبة، دار القاسم للنشر، الرياض، ط1، 1416هـ.
- 16- أبو الفداء بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2000م.
- 17- فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2002م.
- 18- لجنة القرآن والسنة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1999م.
- 19- مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة ، بيروت- لبنان، ط1، 2005.
- 20- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، م1 ، ج9، ط1، 1981م.
- 21- محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج3، ط1، 1993م.
- 22- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م.

قائمة المصادر و المراجع :

- 23- محمد صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ.
- 24- محمد بن مسعود البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة، الرياض، مج5، ج21، ط1، 1989م.
- 25- محمد شلتوت، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق-القاهرة، ط12، 2004م.

ثانيا - المطبوعات:

- تومي عيسى، الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني-دراسة في آيات من سورة البقرة- ، قسم الآداب واللغة العربية، المدرسة العليا للأساتذة، ورقلة.

ثالثا - المجلات والدوريات:

- 1- بولمعالي النذير، حفيظة هجرسي، تجليات الحجاج اللغوي في القرآن الكريم من خلال تفسير كتاب الله العزيز للشيخ: هود بن محم الهواري، مجلة التواصلية، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، ع 10، ج1، جوان 2017م.
- 2- بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة علوم إنسانية، جامعة سطيف، الجزائر، ع44، 7/جانفي/2010م.
- 3- عيسى تومي، الاستلزام الحوارية في الخطاب القرآني مقارنة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب العربي، مج8، ع 1، 2019م.
- 4- مختار حسيني، الحجاج اللغوي بين النظرية و التطبيق، مجلة لسانية معاصرة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة في الاغواط، الجزائر، مج1، ع 2، ديسمبر 2020م.

رابعا - الرسائل الجامعية:

- 1-حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إشراف: د.إسماعيل زردومي، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2009-2010م.

قائمة المصادر و المراجع :

- 2- حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: د.عزالدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحاج لخضر بباتنة، السنة الجامعية: 2012-2013م.
- 3- يوسف محمد رحمة الشامسي، تفسير القرآن العظيم لعز الدين عبد العزيز السلام السلمي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة دراسة وتحقيقا، أطروحة دكتوراه، إشراف: د.عبد الستار فتح الله سعيد، قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، السعودية، مج1، 1998م.

فهرس

الموضوعات

الصفحة.....	العنوان.....
أ.....	مقدمة
	الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي في قصص الغزوات
02.....	توطئة:
06.....	أولاً: غزوة بدر.....
12.....	1-المقطع التخاطبي الأول.....
13.....	2- المقطع التخاطبي الثاني.....
14.....	3-المقطع التخاطبي الثالث.....
14.....	4-المقطع التخاطبي الرابع.....
15.....	5-المقطع التخاطبي الخامس.....
16.....	6-المقطع التخاطبي السادس.....
16.....	7-المقطع التخاطبي السابع.....
17.....	8-المقطع التخاطبي الثامن.....
18.....	9-المقطع التخاطبي التاسع.....
20.....	10-المقطع التخاطبي العاشر.....
21.....	11-المقطع التخاطبي الحادي عشر.....
21.....	12-المقطع التخاطبي الثاني عشر.....
22.....	13-المقطع التخاطبي الثالث عشر.....
23.....	14-المقطع التخاطبي الرابع عشر.....
23.....	15-المقطع التخاطبي الخامس عشر.....
24.....	16-المقطع التخاطبي السادس عشر.....
25.....	17-المقطع التخاطبي السابع عشر.....
26.....	18-المقطع التخاطبي الثامن عشر.....
27.....	19-المقطع التخاطبي التاسع عشر.....
27.....	20-المقطع التخاطبي العشرون.....
28.....	21-المقطع التخاطبي الواحد والعشرون.....
29.....	22-المقطع التخاطبي الثاني والعشرون.....
30.....	23-المقطع التخاطبي الثالث والعشرون.....
30.....	ثانياً: غزوة أُحُد.....
30.....	1-المقطع التخاطبي الأول.....
32.....	2-المقطع التخاطبي الثاني.....
33.....	3-المقطع التخاطبي الثالث.....
34.....	4-المقطع التخاطبي الرابع.....
35.....	5-المقطع التخاطبي الخامس.....
36.....	6-المقطع التخاطبي السادس.....

37.....	7-المقطع التخطبي السابع.....
37.....	8-المقطع التخطبي الثامن.....
38.....	9-المقطع التخطبي التاسع.....
40.....	10-المقطع التخطبي العاشر.....
41.....	11-المقطع التخطبي الحادي عشر.....
42.....	12-المقطع التخطبي الثاني عشر.....
43.....	13-المقطع التخطبي الثالث عشر.....
45.....	14-المقطع التخطبي الرابع عشر.....
46.....	15-المقطع التخطبي الخامس عشر.....
47.....	16-المقطع التخطبي السادس عشر.....
48.....	17-المقطع التخطبي السابع عشر.....
49.....	18-المقطع التخطبي الثامن عشر.....
50.....	19-المقطع التخطبي التاسع عشر.....
50.....	20-المقطع التخطبي العشرون.....
51.....	21-المقطع التخطبي الواحد والعشرون.....
52.....	22-المقطع التخطبي الثاني والعشرون.....
53.....	23-المقطع التخطبي الثالث والعشرون.....
53.....	24-المقطع التخطبي الرابع والعشرون.....
54.....	25-المقطع التخطبي الخامس والعشرون.....
55.....	26-المقطع التخطبي السادس والعشرون.....
56.....	27-المقطع التخطبي السابع والعشرون.....
57.....	ثالثا: غزوة الأحزاب
57.....	1-المقطع التخطبي الأول
58.....	2-المقطع التخطبي الثاني.....
59.....	3-المقطع التخطبي الثالث.....
60.....	4-المقطع التخطبي الرابع.....
61.....	5-المقطع التخطبي الخامس
62.....	6-المقطع التخطبي السادس.....
62.....	7-المقطع التخطبي السابع.....
63.....	رابعا: غزوة خيبر
64.....	خامسا: غزوة حنين
66.....	سادسا: غزوة تبوك
66.....	1-المقطع التخطبي الأول
67.....	2-المقطع التخطبي الثاني
68.....	3-المقطع التخطبي الثالث

68.....	4-المقطع التخطبي الرابع.....
69.....	5-المقطع التخطبي الخامس.....
70.....	6-المقطع التخطبي السادس.....
70.....	7-المقطع التخطبي السابع.....
72.....	8-المقطع التخطبي الثامن.....
73.....	سابعاً: النتائج.....
74.....	خلاصة.....
الفصل الثاني: الحجاج في قصص الغزوات	
79.....	توطئة.....
81.....	أولاً: غزوة بدر.....
81.....	1-المقطع الحجاج الأول.....
82.....	2-المقطع الحجاجي الثاني.....
84.....	3-المقطع الحجاجي الثالث.....
85.....	4-المقطع الحجاجي الرابع.....
86.....	5-المقطع الحجاجي الخامس.....
87.....	6-المقطع الحجاجي السادس.....
89.....	7-المقطع الحجاجي السابع.....
91.....	8-المقطع الحجاجي الثامن.....
91.....	9-المقطع الحجاجي التاسع.....
92.....	10-المقطع الحجاجي العاشر.....
93.....	11-المقطع الحجاجي الحادي عشر.....
94.....	12-المقطع الحجاجي الثاني عشر.....
95.....	13-المقطع الحجاجي الثالث عشر.....
96.....	14-المقطع الحجاجي الرابع عشر.....
98.....	15-المقطع الحجاجي الخامس ع.....
99.....	16-المقطع الحجاجي السادس عشر.....
100.....	17-المقطع الحجاجي السابع عشر.....
102.....	18-المقطع الحجاجي الثامن عشر.....
103.....	19-المقطع الحجاجي التاسع عشر.....
104.....	20-المقطع الحجاجي العشرون.....
105.....	21-المقطع الحجاجي الواحد والعشرون.....
105.....	22-المقطع الحجاجي الثاني والعشرون.....
107.....	23-المقطع الحجاجي الثالث والعشرون.....
ثانياً: غزوة أُحد	
108.....	1-المقطع الحجاجي الأول.....

110.....	2-المقطع الحجاجي الثاني.....
111.....	3-المقطع الحجاجي الثالث.....
112.....	4-المقطع الحجاجي الرابع.....
112.....	5-المقطع الحجاجي الخامس.....
113.....	6-المقطع الحجاجي السادس.....
114.....	7-المقطع الحجاجي السابع.....
115.....	8-المقطع الحجاجي الثامن.....
117.....	9-المقطع الحجاجي التاسع.....
118.....	10-المقطع الحجاجي العاشر.....
119.....	11-المقطع الحجاجي الحادي.....
119.....	12-المقطع الحجاجي الثاني عشر.....
121.....	13-المقطع الحجاجي الثالث عشر.....
122.....	14-المقطع الحجاجي الرابع عشر.....
123.....	15-المقطع الحجاجي الخامس عشر.....
124.....	16-المقطع الحجاجي السادس عشر.....
125.....	17-المقطع الحجاجي السابع عشر.....
127.....	18-المقطع الحجاجي الثامن عشر.....
128.....	19-المقطع الحجاجي التاسع عشر.....
129.....	20-المقطع الحجاجي العشرون.....
130.....	21-المقطع الحجاجي الواحد والعشرون.....
131.....	22-المقطع الحجاجي الثاني والعشرون.....
132.....	23-المقطع الحجاجي الثالث والعشرون.....
133.....	24-المقطع الحجاجي الرابع والعشرون.....
134.....	25-المقطع الحجاجي الخامس والعشرون.....
135.....	26-المقطع الحجاجي السادس والعشرون.....
136.....	27-المقطع الحجاجي السابع والعشرون.....
141.....	الخاتمة.....
147.....	قائمة المصادر والمراجع.....
152.....	فهرس الموضوعات.....
--.....	ملاحق.....
--.....	ملخص.....

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرقي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): تجرويش ساميةالصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201629668 والصادرة بتاريخ: 2021/4/11 بدائرة حمام الضلع -

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي لتخصصات عامة -

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الاستملاء الخطابي والحجاج في قصص الخرافات في التراث الأندلسي

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

2022/06/07

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرقي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): يوسية صروجالصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 8074104655، والصادرة بتاريخ: 2022/04/25 بدائرة مجامع الطلبة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي لتخصص مسائيات عامة

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الامتياز المحتاطي والحجاج في قصص الخرافات في التراث العربي

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

2022/6/7:

إمضاء المعني

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى معالجة قضية الاستلزام التخاطبي والحجاج في قصص غزوات الرسول ﷺ المذكورة في القرآن، واعتمدنا على المنهج الوصفي، وبني البحث على فصلين، يتناول الفصل الأول الاستلزام التخاطبي في ست غزوات واردة في القرآن الكريم وهي: (بدر، أُحُد، الأحزاب، خيبر، حنين، تبوك)، ويعالج الفصل الثاني الحجاج الوارد بوضوح في غزوتي (بدر، وأُحُد).

وتوصلنا في النهاية إلى نتائج أبرزها أن الاستلزام التخاطبي راعى في آيات الغزوات مبدأ التعاون وتميز بقيمة جمالية فنية تؤثر في المتلقي وتؤدي إلى التفاعل والاندماج مع النص، كما أن الحجاج اتخذ من قصص الغزوات في القرآن الكريم سبيلا للاستدلال والجدل والمناظرة والتعجيز بغية التأثير والإقناع.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام التخاطبي، الحجاج، التداولية، قصص الغزوات، القرآن الكريم.

summary:

This research aims to address the issue of conversational imperative and pilgrims in the stories of the conquests of the Messenger mentioned in the Qur'an, and we relied on the descriptive approach, and the research is based on two chapters. , Hunayn, Tabuk), and the second chapter deals with the pilgrims clearly mentioned in my battles (Badr and Uhud).

In the end, we reached the most prominent results, the most prominent of which is that the conversational imperative took into account in the verses of the invasions the principle of cooperation and was distinguished by an aesthetic and artistic value that affects the recipient and leads to interaction and integration with the text, and that the pilgrims took the stories of the invasions in the Holy Qur'an as a way of inference, controversy, debate and impossibility in order to influence and persuade.

key words: Conversational imperative, pilgrims, pragmatics, stories of conquests, the Holy Qur'an

